من أعلام الخليج العربي

٣

ناصر الخيري

الأديب الكاتب

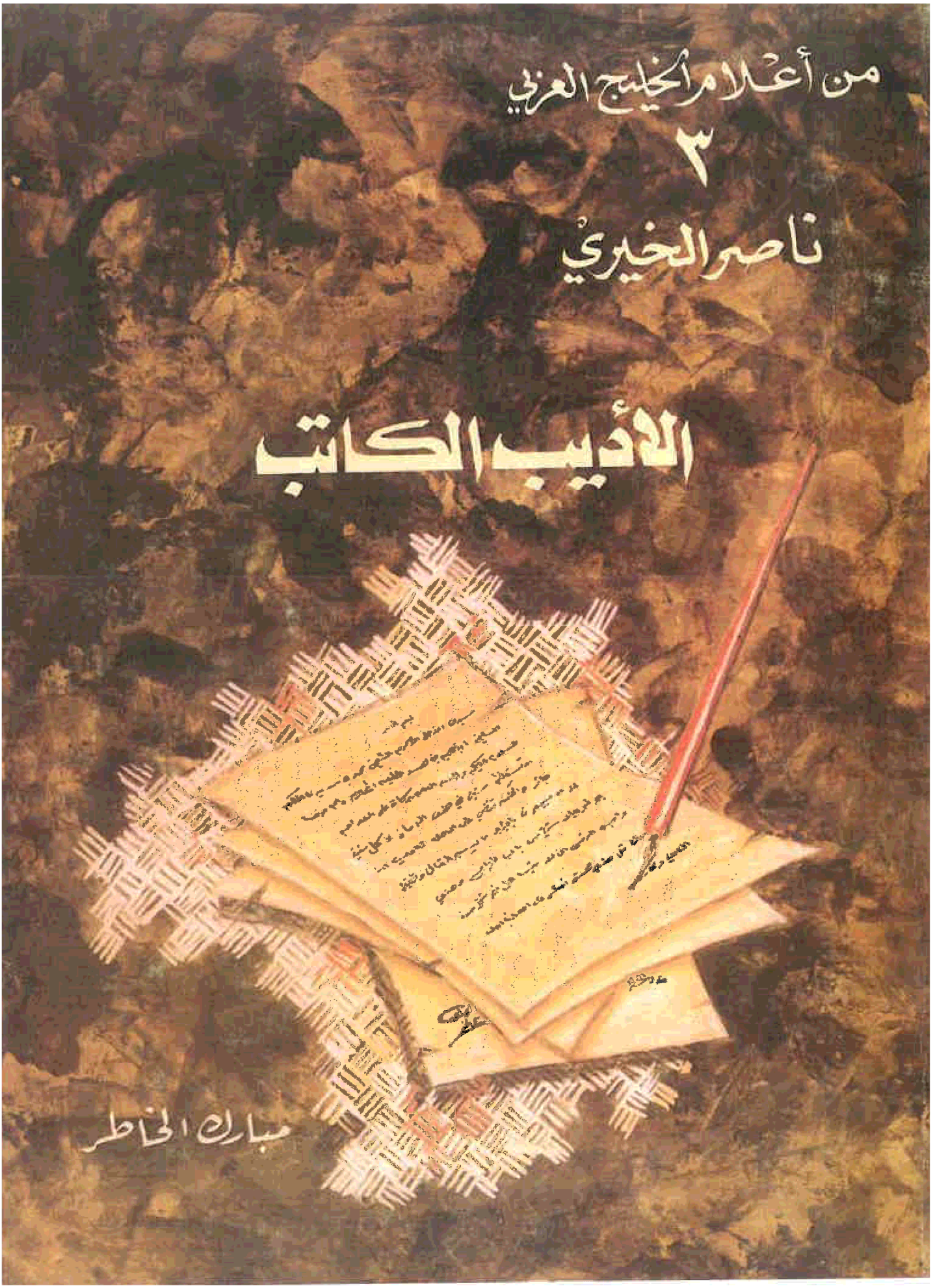

مبارك الخاطر

من أعلام الخليج العربي

٣

ناصر الخيري

الأديب الكاتب

١٨٧٦ - ١٩٢٥

حياته - آثاره

مبارك الخاطر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى ١٩٨٢م

ناصر الخيرى

صورة أخذت عام ١٩٠٥

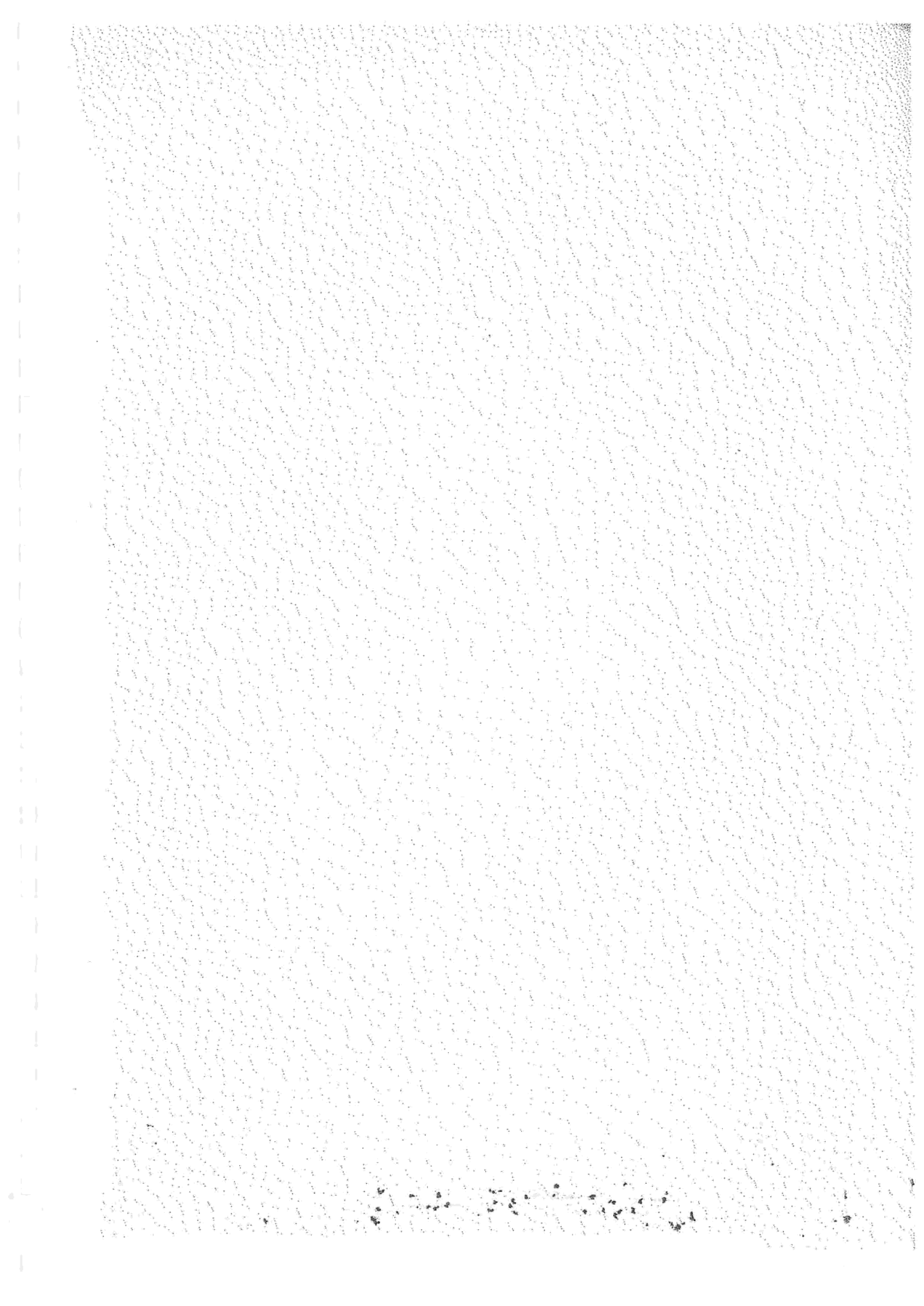

الاهداء

الى الأجيال الحاضرة واللاحقة فى الخليج
والبلاد العربية أهدي هذا العمل المتواضع
مساهمة منى فى خدمتهم ٠

مبارك

تقدمه

الكتابة عن ناصر الخيرى كواحد من مفكرى الخليج العربى فى النصف الاول من القرن الرابع عشر الهجرى تكتنفها كثير من الصعوبات ، كما اشرنا الى ذلك فى اكثر من مؤلف وضعناه عن اعلام الخليج فى تلك الحقبة ، وما قبلها قليلا

بل إن الكتابة عن ناصر بحد ذاتها تنفرد بصعوبات جمة ، ومعوقات كثيرة ، منها عدم عثورنا على ما يثرى الكتابة عنه من مخطوط ، او مطبوع ·· فخلال اكثر من عقد من السنين من البحث والاستقصاء عن حياة ناصر بكل ابعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية ، بما فى ذلك شد الرحال الى بعض مناطق الخليج التى كنا نتوسم ان لها علاقة من قريب بهذا الرجل كالكويت الشقيق ، فلم نجد ـ يومها ـ حافزا للاسراع فى الكتابة عنه ·

اما فى البحرين موطن الرجل ، فان ندرة المعلومات عنه كانت تدفعنا بين حين وآخر الى التوقف مددا قصيرة ·· يأسا من عدم حصولنا على ما يستحق الكتابة عنه ، بينما كان شبحه يطل علينا بين آونة واخرى ·· من خلال ما عثرنا عليه من كتاباته ، ومن خلال لقاءاتنا باصدقائه الاحياء امد الله فى اعمارهم ، فهم كثيرا ما كانوا يحضوننا على الكتابة عن ناصر ·· ككاتب ، واديب ومؤرخ ايضا ··

ومع ما قدمه اولئك الشهود المعاصرون لحياة ناصر من معلومات قيمة ·· مثل المعلومات التى حصلنا عليها من افراد بيت الفاضل ، ذلك البيت الذى نشأ فيه وترعرع بين جنباته ، الا اننا كنا نفتقد فى كثير من تلك المعلومات حرارة الحركة وقوتها ·

الى ان عثرنا نتيجة جهدنا المتواصل فى البحث على رسائل ناصر واجوبتها فى بعض الصحف العربية · ثم ما عثرنا عليه بعد ذلك ايضا من بعض رسائل ناصر البينية المهمة ·· لدى الشيخ محمد ابن ابراهيم بن محمد الخليفة ·

لقد ظهر لنا جليا من خلال معاناتنا فى تجميع الاوراق الخاصة بحياة ناصر بكل ابعادها ، ان حياته الادبية والثقافية هى احدى الحلقات المفقودة من سبحة اعلام الخليج العربى فى العصر الحديث ، وما اكثر تلك الحلقات المفقودة فى هذا المجال ·

لهذا فان هذا المؤلف المتواضع عن ناصر سيضع حلقة بكاملها فى مكانها من تلك السبحة التى تنتظم دررا خليجية ، كابراهيم بن محمد الخليفة ، وعبدالوهاب الزيانى ، وقاسم بن مهزع ، وخالد الفرج ، وعبدالله الزائد ، واضرابهم فى مناطق الخليج الاخرى ·

ان ناصر الخيرى واحد من هؤلاء ·· عاصرهم جميعا ، وعاش المناخ الثقافى الذى عاشوه ، لكنه تفرد عنهم بمعاناة خاصة فى مجال ثقافته التى اكتسبها بجهده الخاص ، ومعاناته الذاتية فى الاستفادة من تلك الثقافة · وليس معنى ذلك ان زملاءه من رواد الفكر النهضوى والاصلاحى فى البحرين ممن ذكرنا بعضهم آنفا ، لم يعانوا الامرين بسبب تطلعاتهم الاصلاحية الجديدة آنذاك ·

ان تفرد ناصر الخيرى بمعاناته الخاصة يأتى من كونه :

اولا ـ انه نشأ اواخر القرن الثالث عشر واوائل القرن الرابع عشر الهجريين ·· فى بيئة اجتماعية كان تصنيفه فيها انه من فئة الموالى ، الذين لا حول لهم ولا طول آنذاك ـ فى الخروج من اطار ذلك التصنيف الى أطر اخرى اوسع وارحب ، بمثل ما يتمتع به سادة اولئك الموالى آنذاك

ثانيا ـ ومع انه نشأ كما قلنا فى تلك البيئة ، وشمله تصنيف الموالى بها ، الا ان تاريخ البحرين الادبى سيحفظ له تمرده على ذلك التصنيف · ونجاحه فى تخطى الكثير من حواجزه ومعوقاته ، فهو اصر على طلب العلم ونال فيه بجهده الذاتى فوق ما وسعه الى ذلك سبيلا ·

وهو عمل فى وظائف عدة وتقدم صفوفا كثيرة من مثقفى زمانه فى مجال المؤسسات الثقافية ، والاعمال الادبية ·

غير ان مما يؤسف له ان النظرة الفوقية التى كان ينظر بها مجتمع البحرين آنذاك الى ناصر ، وأقرانه من مثقفى الموالى ومبدعيهم ٠٠ قد ساهمت فى ضياع اشياء مهمة من اعماله ٠٠ تلك الاعمال التى من اجلها ذلك المصنف المخطوط الذى كتبه ناصر فى تاريخ البحرين ، والذى كان من شهود كتابته والاطلاع عليه كثير من زملاء ناصر ، ممن اتصلنا بهم من اجل اخراج هذا المؤلف ٠ اولئك الذين منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ٠

هذا عن ناصر الخيرى ٠٠

اما عن طريقتنا فى الكتابة عنه فلا تخرج عن عرف الكتابة عن أى علم من اعلام الثقافة فى بلادنا ٠٠ وعن اعماله الادبية منذ نشأته حتى وفاته ٠٠ غير ان هذه الكتابة قد تختلف عن الطريقة المتبعة فى وضع كثير من الترجمات عن اولئك الاعلام الذين كان لهم دور فاعل ٠٠ لافت للنظر فى مجتمعهم ٠

فلقلة المعلومات التى كانت تتحدث عن الجزئيات المهمة فى حياة ناصر ، لجأنا الى البحث والاستقصاء عن رسائله الثقافية التى قيل لنا انها كثيرة ، وتعد من أهم انتاجه الادبى ٠٠ لكنا لم نستطع العثور عليها بأكملها ، الا اننا وفقنا للحصول على أهمها ، وأجداها ، فوجدنا انها تعد من اهم الانتاج الادبى لناصر ، اذا استثنينا مسودته فى التاريخ العام للبحرين ، التى كتبها خلال العقد الاول من القرن العشرين ، والتى لم نعثر عليها حتى الآن ، رغم ما بذلناه من جهد ووقت فى سبيل ذلك ولم نجن غير القول بأن ناصر قد كتبها واودعها لدى السيد علي بن خليفة الفاضل الذى غادر بها الى الكويت خوفا من وقوعها بيد المستشار بلكريف ، فلا غروان كان جهدنا واضحا فى الحديث عن رسائل ناصر الثقافية ، وما افرزته من ردود عليهامن بعض مفكرى البلاد العربية ٠ (١)

تلك الردود التى فيها رد الشيخ محمد رشيد رضا المطول على رسالة ناصر اليه عن احكام الحج ، ذلك الرد الذى كشف فيه الشيخ رشيد لناصر عن اشياء تخص حياته هو ، وحياة الشيخ محمد عبده السياسيتين ، مما لم يكن قد قاله لاحد من قبل ناصر ٠

ان هذه الردود فى مجملها لتعتبر مهمة فى التعرف على المسارات الثقافية لمثقفى البحرين والخليج ابان الربع الاول من القرن العشرين ٠

---

١ – مثل الشيخ محمد رشيد رضا ، فارس نمر ، ويعقوب صروف ٠

عصر ناصر الخيرى
الربع الاخير من القرن التاسع عشر
الربع الاول من القرن العشرين

خرج ناصر الى الدنيا والبحرين فى ذروة الثراء المحدود الناتج عن ازدهار تجارة اللؤلؤ بالدرجة الاولى ٠٠ والثراء الزراعى بالدرجة الثانية ، فكان الخليجيون اذا لم يسعهم العمل بمزارع النخيل التى كان انتاجها من التمور ومشتقاتها (١) يصل الى الهند وجنوب شرق آسيا ، وشرق افريقيا اضافة الى ما كانت تشتهر به (٢) البحرين آنذاك من تجارة المفروشات الاساسية المستخرجة من اجزاء النخلة ٠

---

(١) من اهم مشتقات التمور هى الادباس المستخرجة من معاصر التمور المنتشرة فى البلاد آنذاك ، وكذلك السلوق ، وهو نتاج البسر المسلوق ، الذى كانت البحرين تصدر منه الشىء الكثير

(٢) لقد اشتهرت البحرين بصناعة المفروشات من اقدم الازمنة ، منها القطنية والصوفية المنتجة من معامل النسيج اليدوية المحلية ، ومنها المفروشات الاساسية المنتجة من مشتقات النخلة كالحصر والدعون (جمع دعن) والسميم ، وهناك (المداد) المصنوعة من أعشاب طويلة السيقان تدعى الاسل وهى تعمر طويلا ، (والدعون) تصنع من جريد النخل وتنصب فى افنية البيوت لينام عليها اهل البيت فى ليالى الصيف ، اما (السميم) فهى مفروشات مصنوعة من خوص النخل لتغطية الاكواخ اتقاء المطر والشمس ٠

كذلك فقد اشتهرت البحرين بصناعة وتجارة المستطرقات المعدنية (١) · كل هذا الرواج التجارى والصناعى كان يجتذب العاملين من نجد والاحساء وساحل الخليج العربى كافة · لقد ابصر ناصر كل ذلك ، وعاش فى بيئته · ذلك من الناحية الاقتصادية ، أما من الناحية الاجتماعية فالبحرين كما هو معروف ومشهور منذ القدم ، كانت محط انظار الخليجيين يأتونها ·· فيحطون فيها رحالهم خلال غداواتهم وروحاتهم الى مغاصات اللؤلؤ ، ومنها ينطلقون الى تلك المغاصات فيتزودون بكل ما يحتاجون اليه من ماء وطعام وادوات للعمل فى البحر ·

لقد شب ناصر فى هذا المجتمع فأبصر الناس فيه وقد طلقوا عهد التنازع القبلى ، واستقروا حيث شملهم عهد الامير الطيب الذكر عيسى بن علي الخليفة ، الذى شهدت البلاد فى منتصفه اول بواكير النقلة الحضارية الحديثة (٢) ·

اما فى مجال الحياة الثقافية آنذاك فقد أبصر ناصر عهد ازدهار مدارس التعليم الاهلى فى البحرين ، تلك المدارس التى ظهرت بواكيرها منذ عشرينات القرن التاسع عشر ، ولا زالت بعض ابنيتها قائمة كمدرسة الشيخ راشد بن عيسى بن احمد بن خميس ، ومدرسة حسين بن سلمان بن مطر ، ومدرسة محمد بن حسن الخاطر ومدرسة الغتمان ، ومدرسة الشيخ احمد بن مهزع ، ومثيلاتها · تلك المدارس التى كانت تسير فى التعليم على نمط مشابه لنمط التعليم الاسلامى الاهلى قبل التعليم الحديث ، مثل الذى كان معروفا ومشهورا فى كل من الشمال الافريقى ، وبلاد هجر ·

ولقد أخذ ناصر تعليمه الاول فى واحدة من هذه المدارس ، وهى مدرسة الشيخ احمد بن مهزع الكائنة الآن فى شارع الشيخ عبدالله ـ بالمنامة ·

---

(١) تجارة المستطرقات بانواعها كان لها ازدهار كبير فى البحرين قبل نصف قرن ، تمثل فى ترويج منتجاتها المحلية من نحاسية كالجفان والقدور والاباريق ، والقماقم والدلال (جمع دلة) ، وبعض الاوانى الاخرى الدقيقة الصنع ، وما يدخل فى هذا الباب من صناعة ادوات منزلية جميلة ·

(٢) بدئا من تأسيس مكتب التلغراف البريطانى بالمنامة مفتتح ثمانينات القرن التاسع عشر ، مرورا بتأسيس البلدية عام ١٩١٧ والتعليم الحديث عام ١٩١٩ ·

كذلك فأن ناصر لم يفارق الدنيا حتى رأى قيام المؤسسات الثقافية الوطنية الحديثة فى البلاد مثل المدارس النظامية ، والاندية ، والمكتبات الاهلية ٠

ابتداء من انشاء مكتب للتلغراف بالمنامة عام ١٨٨٤ ٠ بل انه شارك فى تأسيس بعض تلك المؤسسات ، وعانى معانات خاصة فى ذلك (١) ٠

وهو يعد أحد شهود عصر الغزو التنصيرى البروتستانتى فى الخليج حيث أبصر بواكير أعمال ذلك الغزو من تأسيس مدارس وعيادات ومكتبات ، وما نتج عن ذلك من صراع فكرى بين مسلمى البلاد ودعاة التنصير الغربى ، وقد عاش ناصر فى خضم ذلك الصراع وشارك فيه ، وتأثر به ٠

وهو يعد بحق من نتاج ذلك المناخ الثقافى المكين والموسوم بعصر ابراهيم بن محمد الخليفة رائد الثقافة الحديثة فى البحرين ٠

وناصر بعد ذلك كله عاش فى بيئة فكرية كان من مميزاتها ذلك التباين المذهبى الاسلامى الذى كان مستشريا بين مسلمى الخليج ٠ مما ترك المجال مفتوحا امام البدع والضلالات ، من دروشة وشعوذة ، ودجل ، وخلافات وتفرقة ما اتى الله بها من سلطان ، ولم تفلح فى وقفها لا دعوة الاصلاح التى يمثلها آنذاك الشيخ محمد رشيد رضا ، ولا حتى دعوة الخلاص من الزيغ والضلال التى جاء بها الامام محمد بن عبدالوهاب ، ولئن كانت هذه الاخيرة قد افلحت فى محو نفوذ اصحاب تلك الضلالات فى بعض مناطق الخليج ، فلئن دعاتها نجحوا فى تلك المناطق بينما لم يتمكنوا من فعل مثل ذلك فى البحرين ، لعوامل كثيرة ليس هنا مجال لذكرها ٠

فى هذا العصر عاش ناصر ومات ٠٠ ورغم كل تناقضات عصره استطاع ان يتجاوز ذلك ٠٠ متطلعا الى المعرفة ، وكاسبا لها ، ساعيا الى الحقيقة وكاتبا لها ، وهذا ما سنحاول ان نتعرف عليه خلال كتابتنا المتواضعة عنه ٠٠

---

(١) المعروف عن ناصر انه كان احد مؤسسى نادى اقبال اوال الليلى ، وكان ضمن رواد النادى الاسلامى بالمنامة الذى اسسه الشيخ مقبل النكير عام ١٩١٣م .

من أقوال ناصر

١ ـ ٠٠ وبالفعل ان هذه المرأة أخبرت أهل البلاد بذلك فصدقها كثيرون من الناس ، وذهبوا الى ذلك النهر ، وأخذوا يغتسلون ، ويشربون منه ، وينقلون منه الى القرى المجاوره ٠

وبسرعة البرق انتشر هذا الخبر بأطراف البلاد ، فتهافت الناس على هذا النهر كتهافت القطا ، وعكفوا عليه عكوفهم على الحجر الأسود معتقدين فيه كاعتقادهم بالله حتى كثر الضجيج والازدحام عليه بما يفوق حد التصور ، حتى أصبح هذا النهر الصغير في بلادنا شبيها بنهر الكنج بالهند

ولقد رثيت لحالة بعض الأطفال الذين يكادون يموتون غرقا لكثرة ما تغطسهم أمهاتهم في الماء ابتغاء البركة والتقديس ٠

ناصر في رسالته (عبادة نهر جار)
عام ١٣٢٩ ـ ١٩١١

٢ ـ نرى كثيرا من علماء الأمة الاسلامية ومرشديها المصلحين منهم من عاش ومات ولم يحج مع أنه رحل في سنته مرتين ، أو ثلاثا الى أوربا ، أو الى غيرها من البلاد ، ولم يذهب الى مكة ، مع أنه كان الألزم والأوجب أن يقصد مكة والحج كل موسم للنصح والارشاد ، فهذا ساكن الجنان الأستاذ الامام والمرحوم السيد عبدالرحمن الكواكبي ، وغيرهم عاشوا وماتوا ، وهم لم يروا مكة في وقت الحج ٠ وحضرتك أيضا كذلك ٠

فما هي الأسباب يا ترى ، ونحن نعتقد أن امتناعكم جميعا عن الحج لابد له من سبب ، فما هو ذلك السبب العظيم الذى يمنع رجال الاصلاح العظام عن الحج ٠

ناصر في رسالته الى الشيخ محمد
رشيد رضا عام ١٣٣١ ـ ١٩١٣م

٣ ــ ومن مثل هذه كنت أخشى على أصحابنا أهل النادى وأعارضهم ، وأنهاهم عن التطرف فيما لا طائل منه · ولكن هدى الله بعضهم يحسبون الناصح لهم فاتر[١] في الوطنية عديم الاخلاص لها · ·

فالآن يلزم أن تمحضهم النصح ، ولا تقل لا يهمني ولا ناقة لي فيها ولا جمل ، واعلم انك غير سالم من الانتساب للنادى مهما حاولت الابتعاد عنه ·

ولا يغرب عن بالك أن هناك من اخوتك اثنان[٢] وأخيك الشيخ محمد بن عبدالله ، وهذا يكفي أن تكون المسألة بينكم مشتركة خصوص اذا علمت بأني مشروك معكم في ذلك ولاتظن اني أنجو مما قد يصاب به أولئك ·

ناصر في احدى رسائله الى الشيخ محمد بن ابراهيم بن محمد الخليفة عام ١٩٢٢م

٤ ــ · · وبعد فقد أخذت بيد الاحترام كتابكم رقم · · أمس وأشكركم على ما أبديتم فيه من اللطف وأسفت لأن ساعة وصوله بالمكتب كنت غائب[٣] في الكوتي حيث دعيت بأمر المعتمد صباح أمس خصيصا لتلاوة ترجمة خطاب فخامة رئيس الخليج ·

وقد حضرنا الحفلة ووعينا ما كان بها من الأقوال والأفعال ، ولا نقول ازائها الا خير ·

لقد تغيرت الحالة من أمس وصار الحاكم حضرة الشيخ حمد · هذا هو الحال الظاهر ، والباطن نكل أمره الى علام الغيوب ·

من رساله بعث بها ناصر الى الشيخ محمد بن ابراهيم بن محمد الخليفة بتاريخ ١١ شوال ١٣٤٢هـ

---

١) فاتر : هكذا في النص والصواب فاترا ·
٢) اثنان : هكذا في النص والصواب اثنين ·
٣) غائب : هكذا في النص والصواب غائبا ·

١ ـ من ردود تلقاها ناصر

أ ـ من يعقوب صروف وفارس نمر صاحب المقتطف

٠٠ وأرد شير بن بابك هذا أول ملوك الدولة الساسانية ، نزع الملك من اردوان الرابع آخر ملوك الدولة الاشكانية سنة ٢٢٦ للمسيح ، فلا بد أن حصار البحرين حدث بين هذه السنة وبين سنة ٢٢١ ، وهي السنة التى توفي فيها أردشير وخلفه ابنه سابور ٠

● ● ●

ب ـ وقد أخذت الحكومة العثمانية بعد ذلك تحصل الايرادات وتصرف المرتبات على حساب الشهور الشمسية ٠٠

ولما طبعت سندات القنصليد العثماني في مدة المرحوم فؤاد باشا لم ينتبه الى الغاء سنة ١٢٨٨ منها ، فعرض الأمر على الباب العالي فأصدر قرارا بابقاء هذه السنة ٠ وقد كانت السنون المالية الهجرية متقابلة الى سنة ١٢٨٧ مالية ، فدخلت سنة ١٢٨٩ هجرية أمام سنة ١٢٨٨ مالية ، وبقى الفرق سنة الى سنة ١٣٢٣ هجرية ، فصار الفرق سنتين ، فالسنة المالية الآن ١٣٢٧، والهجرية ١٣٢٩ ٠

٢ ـ من رشيد رضا صاحب المنار

ويعلم قراء المنار في زمن عبدالحميد أنه كان ممنوعا من ممالكه ، وأن والدى مات والعسكر يحيط بداره ، وكان أخي في السجن لان المنار وجد عنده ، وكانت الحكومة تعاقب كل من تعلم أنه يقرأ المنار ، أو يكاتب صاحبه ، والسبب جواسيس السوء للسلطان عبدالحميد ، بأننا نريد اقامة خلافة عربية قرشية في الحجاز أو غير الحجاز ٠

خلع السلطان عبدالحميد بعد وفاة الأستاذ الامام فظهر ورثته من الاتحاديين بعداء للعرب أشد خطرا علينا مما كان من عداء عبدالحميد لنا ٠
جئنا الآستانة ، وحاولنا أن نقنعهم بحسن نية العرب ، ووجوب انصافهم ، فلم نستطع ٠ ثم جعلوا صاحب هذه المجلة من أعدى أعدائهم ، ذنبه عندهم أنه يدعو الى النهضة العربية ، فكان قصد الحج بما يقوى من سوء ظنهم ، ولا يؤمن معه غدرهم ، وقد صادروا المنار في بريدهم ، ومنعوا دخوله لبلادهم ٠٠

١ ـ من هو ناصر الخيرى
٢ ـ ناصر بين مدرستين
٣ ـ فى مكتبة المبشرين

من هو ناصر الخيرى

ـ هو ناصر بن جوهر بن مبارك الخيرى العيوني (مولى العيونيين من أمراء الاحساء السابقين) ٠

ولد فى محلة الفاضل من المنامة عام ١٨٧٦ وتوفي بها أواخر عام ١٩٢٥ م ٠ أسمر اللون يميل الى السواد مربوع القامة ٠

توفي عنه أبوه صغيرا فكفله جده لأبيه ويدعى مبارك الخيرى وهو الذى اعتنى بتربيته ٠ فشب ناصر ولم يعرف مربياً له غير جده هذا فنسب نفسه اليه ، فعرف فيما بعد ناصر بن مبارك الخيرى ٠

درس أول أمره فى الكتاب (المطوع) ثم لما حفظ القرآن نقله جده الى مدرسة الشيخ أحمد بن مهزع الدينية وفيها ظهر نبوغه مبكرا بين زملائه ، وخاصة فى اللغة العربية ، وبعد مكوثه فى هذه المدرسة قرابة ثلاث سنوات خرج منها ، وبقى يتردد على مجالس العلماء فى المدارس الدينية الأخرى ، وفى المساجد ٠

ولما أسس المبشرون البروتستانت مدرستهم فى المنامة انتظم فى سلكها عام ١٨٩٤ ، وأمضى فيها قرابة ثلاثة أعوام ألم فى أثنائها باللغة الانكليزية ، وبشىء من العلوم الحديثة ، وخرج ناصر من هذه المدرسة وسنّه تقارب الثانية والعشرين ٠

أول ما عمل ناصر كان اشتغاله كاتبا لدى الحاج عبدالله بن جمعه الابراهيم أحد تجار المنامة المعروفين آنذاك ، فقد جاء به جده الى هذا التاجر ، وقال له : (لو تضم يا عبدالله الولد ناصر اليك يكتب لك ويتعلم التجارة ٠٠) فقبله عبدالله وجعله موظفا عنده حوالى عام ١٩٠٣ ٠

كان الحاج عبدالله تاجراً كبيرا يمارس أصنافا كثيرة من التجارة ·· فهو تاجر لؤلؤ وأصداف وأخشاب وغير ذلك ، وله صلات كبيرة بوكلاء تجاريين غربيين وشرقيين كانوا مقيمين فى المنامة ·· لذلك فقد استفاد ناصر كثيرا من عمله فى تجارة الحاج عبدالله ، اذ أصبح فيما بعد خبيرا ماهرا فى كل مجالاتها · وانعقدت له صداقات متينة مع الوكلاء التجاريين الأجانب ممن ذكرنا سابقا ، فاستفاد منهم فى مجال معارف العصر الحديث ، حتى أن بعضهم أعان ناصر فى جمع معلومات مهمة عن تاريخ البحرين القديم ·· مما مكن له من وضع كتاب عن تاريخ البحرين ·· كما سيأتى · وحتى أن أحدهم أيضا ويدعى روبرت ونجهاوس وكان يشغل وظيفة الوكيل التجارى الألمانى فى المنامة شفع له عام ١٩١٣ مع المتشفعين لدى الشيخ قاسم بن مهزع ·· حتى لا ينزل عقابه عليه بجدع أنفه بسبب ما جاء فى رسالته الى الأستاذ محمد رشيد رضا من أسئلة عن الحج ، كما سيأتى ·

وفى عام ١٩١٤ عمل ناصر كاتبا لدى الأمير الشاعر محمد بن عيسى الخليفة ، فنشأت بينهما علاقة فكرية قوية ، فكلاهما كان آنذاك أديبا مرموقا · ولقد استعان ناصر بمعارف الأمير القيمة فى التاريخ العام ·· فحصل منها على معلومات قيمة فى تاريخ البحرين القديم والحديث ·· على غرار ما فعل المؤرخ محمد بن خليفة النبهاني مع الأمير · الا أن النبهاني استطاع اخراج تلك المعلومات الى الوجود بما تيسر له من تسهيلات · أما ناصر فلم يتيسر له ذلك كما سنبينه خلال هذه الدراسة ·

وفى عام ١٩١٨ عين ناصر موظفا فى بلدية المنامة ·

ـ وفى عام ١٩٢١ نقله المعتمد البريطانى الميجر ديلي الى دار الحكومة موظفا فى قسم القضايا الخاصة بالقضاء المدنى · وفيها بقي حتى عام١٩٢٤ · وفيه أصيب بمرض عضال أقعده عن العمل زهاء سنة واحدة توفي بعدها ·

ـ كان رحمه الله يتمتع بحافظة قوية ·· يقول الأديب الأستاذ أحمد بن حسن بن ابراهيم انه التقى بناصر الخيرى كثيرا ·· وفى مناسبات عدة فوجده من الحفاظ المشهورين ، راوية للنثر والشعر قديمه وحديثه ·

ـ شغف ناصر بدراسة التاريخ ، وخاصة القديم منه حتى توصل بجده الشخصي ومثابرته الى تأليف ذلك المخطوط القيم فى تاريخ البحرين القديم والحديث ·

ولقد بقي ذلك المخطوط بعد وفاة ناصر بخط يده في حوزة صديقه الحميم المرحوم

علي بن خليفة الفاضل ، غير أن هذا دفعه الى صديقه وزميله فى الكفاح الشاعر خالد محمد الفرج الذى نقله فى جملة ما نقله بعد خروجه من البحرين أواخر عام ١٩٢٨ الى القطيف ، ثم الى الكويت ٠

ـ استقى ناصر بعض معلوماته فى تأليف كتابه من موسوعة دائرة المعارف ومن مصادر فى التاريخ القديم للبحرين والخليج ، وبعضها من مراجع يونانية قديمة ٠٠ يقول معاصروه من اصدقائه مثل المرحوم محمد بن مبارك الفاضل والأستاذ أحمد حسن ابراهيم أمد الله فى عمره أنه حصل عليها بمساعدة من بعض مستشرقي الارسالية الأمريكية فى المنامة ابان العقد الثاني من هذا القرن ٠

ـ وهو رحمه الله من مؤسسي نادى اقبال أوال بالمنامة عام ١٩١٣ والنادى الأدبى بالمحرق عام ١٩٢٠ ٠٠ ويقول عنه الأمير الأديب محمد بن عيسى الخليفة : أنه كان شغوفا بالنادى الأدبى خاصة فكان يفرغ من عمله فى دار الحكومة مساء ، فان استطاع أن يحصل على سفينة تقله الى جزيرة المحرق فعل ٠٠ لذلك فقد كان يحدث فى كثير من ليالي الاسبوع أن يحضر مع أصدقائه المحرقيين من أعضاء النادى ٠٠ تلك الأمسيات الحلوة التى كانوا يقضونها فى النادى ، وقد يضطر فى بعض ليالي تلك الأمسيات للبقاء فى المحرق فيبيت بمجلس الشيخ الأديب ابراهيم بن محمد الخليفة أو في بيت الشيراوى القريب من موقع النادى ، يقول الأستاذ المرحوم أحمد الشيراوى : (انه كثيرا ما صحب ناصر للمبيت فى منزلهم عقب الانتهاء من السهرة فى النادى الأدبى) ٠

ـ كان رحمه الله دؤوبا على العمل لانهاض النادى ، وهو المعروف بخطبه القيمة[1] فى كل المناسبات الاحتفالية التى كان يقيمها النادى لضيوفه من زعماء البلاد العربية ، ومفكريها أمثال الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي ، والشيخ المجاهد محمد الشنقيطي ، والأستاذ أمين الريحاني وحافظ وهبه ٠

---

(١) يؤسفنا اننا لم نعثر حتى الآن على شيء من هذه الخطب التي يذكرها أصحاب ناصر الأحياء بالتجلة والتقدير ٠

كانت لناصر علاقات فكرية ببعض المفكرين العرب ، منهم الأستاذ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار القاهرية والأستاذان فارس نمر ويعقوب صروف أصحاب مجلة المقتطف المصرية ، وله معرفة جيدة بأمين الرافعي صاحب جريدة الأخبار القاهرية ، ومحمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى القاهرية أيضا ٠

أما ما كان بين ناصر والأستاذ محمد رشيد رضا ، وأصحاب المقتطف من علاقات فكرية ، فقد عززتها الرسائل المتبادلة بينهم ٠ تلك الرسائل التى كانت فى شكل أسئلة من ناصر وأجوبة من الأستاذ محمد رشيد رضا عليها مثل رسائل ناصر الثلاث (عبادة نهر فى البحرين) أرسلها ناصر الى القاهرة بتاريخ ٢٦ يوليه ١٩١١ و (الرقص والتغني) أرسلها أواخر شهر نوفمبر ١٩١١ و (أسئلة عن أحكام الحج) أرسلها بتاريخ ٨ أغسطس ١٩١٣ ٠

وكتلك الرسائل أيضا التى بعث بها ناصر الى أصحاب المقتطف فى صور أسئلة منه وأجوبة من المقتطف عليها مثل رسالته عن (بيع الرقيق أفضيلة أم رذيلة ؟) وعن (اسحق الكندى) اكتوبر ١٩١٠ ٠ ورسالة عن (مغاوص اللؤلؤ فى الخليج) و (السنة المالية العثمانية) يوليه ١٩١١ ٠

وكما قلنا سابقا فانه رحمه الله من مؤسسي نادى اقبال أوال بالمنامة عام ١٩١٣ ومن أعمدته ، وقد تولى ادارة هذا النادى خلال المدة القصيرة التى عاشها النادى والتى لم تتجاوز سنته الأولى ٠ وفيها كتب رسالته المشهورة الى الشيخ محمد رشيد رضا والتى بسببها أغلق النادى وتعرض هو لنقمة الشيخ قاسم بن مهزع كما سيأتى ٠

أما رسائله الشخصية فكان من أهمها تلك الرسائل التى كتبها الى صديقه الشيخ الأديب محمد بن ابراهيم بن محمد الخليفة والشيخ محمد بن عبدالله بن عيسى الخليفة رئيس النادى الأدبى فى سنواته الأولى ٠

ناصر بين مدرستين

كان ناصر الخيري ـ كما قلنا فى مقدمة هذا الكتاب ـ من بين تلامذة مدرسة الشيخ أحمد بن مهزع الدينية المنشأة عام ١٣٠٦ هـ ٠

وكان هذا الشيخ قد حمل معه فيما حمل من كتب حين قدومه من مصر ـ حيث كان يدرس هناك فى الأزهر ـ نلك المجلد الصغير الأنيق الفريد فى بابه ٠٠ كان نلك المجلد هو مجموعة كل ما صدر من جريدة العروة الوثقى للسيد جمال الدين الأفغانى والشيخ الامام محمد عبده ٠ لقد اطلع الشيخ أحمد تلامذته على نلك المجلد فأخذوا يتداولونه واحدا بعد الآخر حتى أوسعوه قراءة وتمحيصا ٠

غير أن ناصر لم يكتف بقراءة المجلد فقط ٠٠ بل قال عنه أصحابه يومذاك انه نسخه بأجمعه ، لذلك فقد أصبح ناصر فيما بعد خبيرا بآراء السيد الأفغانى ، ومحمد عبده ، فهو قد قرأ فى المجلد آراء الاصلاحيين المسلمين فيما استجد من ظواهر العصر الحديث ٠ وقرأ آراءهم وردودهم على المستشرقين والمبشرين والمستعمرين ٠ وكان كثيرا ما يسأل شيخه فيما أشكل عليه من تلك الآراء والشيخ لا يفتأ يوضح له ما التبس عليه من أمرها ٠

ويحل عام ١٨٩٣ فيحل فيه المبشرون أصحاب الارسالية الأمريكية فى الخليج وعلى رأسهم القس الشاب صموئيل زويمر ضيوفا غير مرغوب فيهم على مدينة المنامة ويشنون حملة تنصيرية على سكانها ٠٠ ويتقصدون الشباب منهم بنلك ٠ فينبرى لهم

العلماء والمشايخ ٠٠ ثم يتصدى لهم الشباب من نوعية الدارسين لدى مدرسة الشيخ أحمد ، فيردوهم على أعقابهم خاسرين ٠٠

الا أن المبشرين يعاودون الحملة وبتكتيك آخر فيتصيدوا في الماء العكر ليفرقوا بين العلماء من جهة والشباب من الدارسين لديهم من جهة أخرى ، فيفتحون مدرسة ٠٠ ظاهرها التعليم وباطنها التنصير ٠

بعد عام من انشاء المدرسة التنصيرية فى المنامة وبالتحديد عام ١٨٩٤ بدأ بعض تلامذة الشيخ أحمد يترددون عليها لتعلم اللغة الانكليزية بعد أن أجازهم شيخهم مرددا قول الرسول (ص) (من عرف لغة قوم ٠٠ أمن مكرهم)(١)

كانت سن ناصر قد تجاوزت الثامنة عشرة حين دخوله الى المدرسة التنصيرية الأمريكية ضمن المجموعة التى دخلتها من بين تلامذة الشيخ أحمد لتعلم اللغة الانجليزية ٠٠ كانت تلك المجموعة أول مجموعة من شباب البحرين تدخل تلك المدرسة ٠ غير أنها لم تستمر بها ٠٠ فلم يمر الحول على دخول تلك الفئة الى المدرسة الا وتركها أفرادها خلا ناصر فقد بقي بها حتى تجاوزت سنه الواحدة والعشرين ، وهناك تركها ليتكسب عند تجار البلاد بما تعلمه لدى مدرسة الشيخ أحمد ، ومدرسة المبشرين من سلاح العلم ٠٠ لدينه ودنياه ، لذلك فقد أصبح ناصر ضليعاً فيما تعلمه من المدرستين (٢)

---

(١) القاضي ابن مهزع ص ١٢٠٠

(٢) القاضي ابن مهزع ص ١٢١ر١٢٢

فى مكتبة المبشرين

بعد أن ترك ناصر مدرسة المبشرين وانصرف الى الحياة العملية ظل يتردد على مكتبة المبشرين ، وهى مكتبة عامة أنشأها المبشرون عام ١٨٩٤ وألحقوها بالمدرسة ، ثم طوروها عام ١٩٠٦ ونقلوها الى مقرها الصغير الحالي بفريق كانو ، وأصبحت فيما بعد ملتقى كثير من الشباب من أصدقاء ناصر · ابتداء من عام نقلها الى مقرها الجديد ·

وفى المكتبة قرأ ناصر ـ كغيره من أصدقائه الشباب ـ كتبا تختلف كل الاختلاف عن كتب العلماء والأدباء فى البحرين أنذاك ، من حيث اهتمامها بالعلوم والمخترعات والمكتشفات ·

غير أن المبشرين ظلوا لا يفتأون يوجهون قراء مكتبتهم الى قراءة كتب مترجمة الى العربية لمؤلفين غربيين من مستشرقين ومبشرين ·

ظلت هذه الكتب تسترعي أنظار ناصر ورفاقه من الشباب ، فقد اطلعوا على ما فيها من دس على العقيدة الاسلامية · زد على نلك أن المبشرين كانوا لا يفتأون يناقشون رواد مكتبتهم فيما يقرأون ، وبصورة مستمرة ·· يحاولون حصر اهتمام هؤلاء الرواد بمنجزات الحضارة الغربية ·· التى يصرون على تسميتها بالحضارة المسيحية ، محاولين ربط تطور الغرب بالديانة المسيحية وتخلف الشرق بالديانة الاسلامية · لنلك فقد كان ناصر على رأس المتنمرين من هذا الوضع الذى ينغص عليهم لقاءاتهم فى هذه

المكتبة ، ويحد من حريتهم فى التزود بما يشاؤون من المعارف التى تحويها كتب وصحف المكتبة ٠

ويحسن هنا أن ننقل فقرات مهمة من كتابنا القاضى الرئيسى قاسم بن مهزع ٠٠ فصل (ما بين الشيخ قاسم وناصر الخيري) لندلل بها على ما كان يعانيه هؤلاء الشباب من رواد مكتبة التبشير من ضيق بممارسات أصحابها فى التبشير البروتستانتي ٠٠ قلنا لقد أوتي المبشرون فى المنامة من قوة المنطق فى اقناع رواد مكتبتهم بنظرتهم هم الى الله والكون والانسان ٠٠ ما لا قبل لهؤلاء الفتية من الشباب بدحضه الا فى بعض ما يتعلق بالعقيدة الاسلامية ٠٠

لهذا كله ولخشية هؤلاء الشباب أن ينوبوا فى بوتقة المبشرين ، فكر البارزون منهم ٠٠ وفيهم ناصر الخيري أن يمتنعوا عن ارتياد مكتبة المبشرين تلك ، وحين عزموا على ذلك ، ونفذوه وجدوا أفئدتهم فارغة ٠٠ لا يقر لها قرار الا فى المكتبة ٠

لقد كانت هذه المكتبة فى أول ارتيادهم لها كمالا يقومون به لسد الفراغ فى أوقاتهم ، الا أنها أصبحت منذ عام ١٩٠٦ فما فوق من حاجاتهم اليومية الضرورية ٠

وحين هجروا المكتبة بدا واضحا لهم أن شملهم يوشك على التبدد ، غير أن هذا التصرف منهم جاء لهم بحسنة كبيرة في مجال الاعتماد على أنفسهم ، اذ أوحى لناصر بفكرة اقامة مكتبة خاصة به وبأصحابه ٠ فكان أن تأسست تلك المكتبة ، ثم حولوها عام ١٩١٣ الى ناد باسم نادى اقبال أوال الليلى ٠

الفصـــل الثانـــي

- المقتطف
- المقتطف وناصر الخيرى
- أسئلة وأجوبة
- الرسالة الأولى
- جواب المقتطف
- الرسالة الثانية
- أجوبة المقتطف

المقتطف

حين نتعرض أثناء حديثنا عن ناصر الخيرى لذكر مجلة المقتطف المصرية أولا ٠٠ فلأن أقدم ما عثرنا عليه من رسائل ناصر الى الصحف العربية والمصرية بالذات كان موجها الى المقتطف ٠

ان علاقة ناصر بالمقتطف ليست بدعا بين علاقات قراء بمجلة علمية وأدبية واجتماعية ، كانت من بواكير الصحف العربية التى ظلت ترد الى الخليج باستمرار ، بدئا من ثمانينات القرن التاسع عشر حتى احتجبت أوائل خمسينات القرن العشرين ، وسواء كان هذا الورود عن طريق بومبي بالهند او عن طريق البريد العربي الصادر من القاهرة فان عرب الخليج تأخروا كقراء فى مراسلة المقتطف ، فلم يقوموا بذلك الا فى مفتتح التسعينات من القرن التاسع عشر فهناك رسالة لسلطان العلماء من لنجة عام ١٨٨٩ ٠ ورسالة لحسين بن منديل نزيل بمبي عام ١٨٩٢ (١)

---

(١) رسالة سلطان العلماء الشيخ عبدالرحمن بن يوسف ، صاحب المدرسة الرحمانية المشهورة بلنجة بالساحل الايرانى ، وهى مدرسة تعلم فيها كثير من علماء منطقة الخليج منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادى وفى اوائل القرن العشرين ، ثم توقفت عن مهمتها منذ عدة سنين ٠

أما ناصر ، فيظهر أنه قد تأخر كثيرا في الاتصال بالمقتطف ، اذ لم يبدأ مراسلتها قبل عام ١٩١٠ مع أنه كان من قرائها المدمنين على قراءتها ـ كما يقول زملاؤه الأحياء ـ (١) فهو يجدها بسهولة ، بسبب وجودها المستمر على طاولة مكتبة المبشرين بالمنامة ، فهذه المكتبة لا تبعد كثيرا عن حي الفاضل حيث كان يعيش (٢) ٠

هذا فى المنامة ، فان كان ناصر فى زيارة للمحرق وما أكثر زياراته لها ، فانه يجد المقتطف فوق الرفوف الدانية بمنتدى الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة ٠

لقد ظهرت آثار ذلك الادمان من ناصر على قراءة المقتطف واضحة أشد الوضوح فيما كان يطرحه من آراء اجتماعية ودينية سواء الكتابية منها ، أو الكلامية ٠ كانت المقتطف أثيرة لدى ناصر لا يعدلها فى ذلك الا مجلة المنار القاهرية ، رغم تباين اتجاهيهما ٠

هذا ما أفادنا به كل زملائه سواء كانوا أعضاء فى نادى أقبال أوال الليلي ، أو لم يكونوا ، وهذا ما يبدو واضحا من رسائل ناصر الى كلا المجلتين ، فانه لم ينفرد برسائله الى واحدة منهما ٠

وهذا أيضا ما حدا بناصر أن يقوم باستمرار بادخال مجلة المنار الى مكتبة المبشرين بالمنامة لتكون أمام أبصار رواد تلك المكتبة وليكون الأتجاهان الفكريان للمجلتين أمام أولئك الرواد ٠

---

(١) مثل الاستاذ أحمد حسن ابراهيم ، ومحمد عبدالله جمعه الابراهيم ، والمرحوم أحمد الشيراوى ٠

(٢) لا يزال مقر المكتبة موجودا بأحد الأزقة الشرقية المتفرعة من شارع باب البحرين ، وهو الآن معرض للكتب تابع لمكتبة العائلة التنصيرية ٠

أما قبل ذلك فقد تميزت المقتطف عن المنار بسبقها فى الوصول الى فكر ناصر ، بسبب أنها صدرت قبل المنار بعقدين من السنين ، غير أن ناصر لم يتعرف عليها الا مفتتح التسعينات لدى منتدى الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة فى المحرق ، ثم فى مكتبة المبشرين فى المنامة بعد ذلك ، بينما تعرف على المنار بعد اصدارها مباشرة ، لقد بقيت المقتطف أثيرة على نفسه لا ينازعه فيها منازع لا مجلة الهلال ، ولا غيرها ، اللهم الا العروة الوثقى ، التى كان ناصر يطالعها باستمرار فى مكتبة شيخه احمد بن مهزع بالمنامة ٠

وحتى هذه لم تكن لتنافس المقتطف فى التأثير على فكره لكونها تعالج قضايا محدده من أهمها محاولة بعث الأمة الاسلامية المجيدة من جديد ، فتتوسل الى ذلك فى طرح أفكار اسلامية لمقاومة نفوذ الاستعمار الغربي فى بلاد المسلمين ، وهو اتجاه التزمت به مجلة المنار فيما بعد كأحد الاتجاهات الاصلاحية الاسلامية المنبثقة من مدرسة الأفغاني الفكرية التى كان الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار أحد دعاتها ٠

لقد بقيت حال ناصر الخيرى مع مجلة المقتطف كما أسلفنا ، حتى صدرت المنار عام ١٨٩٨ ووصلت اليه مثلما وصلت الى الآخرين فنازعت المقتطف مكانتها عنده ثم بزتها فى التأثير على فكره ٠٠ وهذا ما سنتحدث عنه فى سياق الكلام عن علاقة ناصر بالمنار ٠

المقتطف وناصر الخيرى

أسئلة وأجوبة

صلة ناصر الخيرى بصحيفة المقتطف فى عمومها كصلة زملائه ممن تكلمنا عن بعضهم كنماذج لمثقفي البحرين أواخر القرن التاسع عشر أوائل القرن العشرين ، من أولئك الذين راسلوا المقتطف آنذاك وكانت رسائلهم كلها لا تخرج عن صيغ أسئلة مختلفة جاءت نتيجة دهشتهم واكبارهم لما كانوا يقرأونه فيها عن المنجزات العلمية الحديثة قبل ثلاثة أرباع قرن · لذلك فقد جاءت جل تلك الأسئلة في الطب وعلم النشوء والارتقاء والفن والاختراع ·

أما حين نأتي الى أسئلة ناصر الخيرى عبر رسائله الى المقتطف فاننا نجدها تختلف عن مثيلاتها من أسئلة زملائه ، فهي تمتاز عن أسئلتهم تلك بصدورها من أديب مؤرخ يفهم جيدا ما يريده من طرحها على المقتطف ·

وباستقراء شامل لأسئلة ناصر تلك نجدها قد طرحت بهدف الحصول على أجوبة تاريخية علمية محدده ·

ولعل ناصر حين كان يقوم بوضع كتابه عن تاريخ البحرين قد واجهته بعض المعضلات التاريخية التى لم يجد لها حلا فيما تحت يديه من المراجع على قلتها آنذاك ،

مثل دائرة المعارف لبطرس البستاني (١) التى كان ما كتب منها من أجزاء اذ ذاك موجوداً فقط لدى مكتبة الارسالية الامريكية فى المنامة ، لذلك راسل ناصر المقتطف لتعينه في حل تلك المعضلات التاريخية · وهذا مما يؤكده سؤاله الثاني فى رسالته الى المقتطف عام ١٩١٠ وكذلك جميع أسئلته الثلاثة في رسالته اليها عام ١٩١١ ·

وحين يصل بنا الحديث عن ناصر ورسائله الى المقتطف في محاولة الأتيان بنماذج منها لا نجد بعد جهد جهيد من البحث المتواصل غير رسالتين فقط أولاهما ذات سؤالين والثانية ذات ثلاثة أسئلة ·

وها هما الرسالتان نثبتهما مع اجابة المقتطف على الأسئلة التي طرحت فيهما حسب الأقدمية ·

الرسالة الأولى

البحرين / السيد ناصر مبارك الخيرى

١ – ما قولكم في بيع الرقيق أفضيلة هو أم رذيلة ، فان كان الأول فلماذا يصادره الغربيون ، وان كان الثاني فلماذا لا يقول بتحريمه رجال الدين في الشرق · ويقول الغربيون ان علة هذا الداء الاسلام والمسلمون ، فهل هذا صحيح ، وان لم يكن كذلك فما سبب تأصله حتى صار يصعب قطع جرثومته من الشرق ؟

٢ – من هو اسحق الكندى صاحب الرسالة الدينية المشهورة ولمن كان معاصرا من الخلفاء ، ومن هو اسماعيل الهاشمي الذى كتب رسالة الى الكندى يدعوه فيها الى الاسلام ؟

---

(١) صدر الجزء الأول من دائرة المعارف هذه عام ١٨٧٦ ·

جواب المقتطف «١»

ج ١ ـ بيع الرقيق ليس فضيلة ، وانما اباحه الشرع تحت شروط ، وقد حرمه جماعة من العلماء المسلمين منهم السيد ابراهيم الرياحي شيخ الاسلام المالكي بتونس ، والسيد محمد بيرم الرابع شيخ الاسلام الحنفي بها ، والسيد أحمد بن أبي الضياف ، والسيد محمد بيرم الخامس ، وتجدون للأخير منهم رسالة وافية في هذا الموضوع نشرت فى المجلد الخامس عشر من المقتطف عنوانها (التحقيق فى مسألة الرقيق) فعليكم مراجعتها ٠

ج ٢ ـ الأول منهما عبدالمسيح بن اسحق الكندى من نصارى بغداد ، كان في زمن المأمون في أوائل القرن الثالث للهجرة وربما كان من أنسباء يعقوب بن اسحق الكندى فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها ٠ وقد ورد ذكر عبدالمسيح ورسالته في كتاب الآثار الباقية للبيروني قال : (وكذلك حكى عبدالمسيح بن اسحق الكندى النصراني عنهم (أي الصابئه) فى جوابه عن كتاب عبدالله بن عباس الهاشمي ، وكان مولد البيروني سنة ٣٦٢ هـ ٠

أما عبدالله بن عباس الهاشمي فقد جاء عنه أنه من نبلاء الهاشميين من ولد العباس ، وقد كان صديقا لعبدالمسيح بن اسحق فكتب اليه رسالة يدعوه الى الاسلام فرد عليه عبدالمسيح في رسالته التى تشيرون اليها ٠

الرسالة الثانية

البحرين / السيد ناصر مبارك الخيرى

س ١ ـ جاء فى دائرة المعارف تحت عنوان البحرين ما نصه (وفتحها أردشير بن بابك ورمى ملكها نفسه من حصنه خوفا منه) فمن هو هذا الملك الذى رمى نفسه ، وفي أي سنة كان ذلك ؟

س ٢ ـ من اكتشف مغاوص اللؤلؤ في الخليج الفارسي ؟

س ٣ ـ ما هو التاريخ الذى يؤرخ به العثمانيون ، ومن أي عهد يبتدىء ؟

---

(١) المقتطف م ٣٧/١٩١٠

أجوبة المقتطف

ج ١ – ذكر الطبرى فى تاريخه أن اسمه سنطرق قال : (ثم توجه أردشير من جور الى البحرين فحاصر سنطرق ملكها ، واضطره الجهد الى أن رمى بنفسه من سور الحصن فهلك) · وقد نقل ابن الأثير هذه الرواية عنه وأغفل الاسم ، والظاهر أن دائرة المعارف نقلت عن ابن الأثير ·

وأردشير بن بابك هذا أول ملوك الدولة الساسانية ، نزع الملك من أردوان الرابع آخر ملوك الدولة الاشكانية سنة ٢٢٦ للمسيح ، فلابد أن حصار البحرين حدث بين هذه السنة وبين سنة ٢٤١ وهي السنة التي توفي فيها أردشير وخلفه ابنه سابور ·

ولا نظن أن سنطرق هذا كان أميرا عربيا فان الدولة الاشكانية كانت متسلطة على العراق العربي وعلى جزء كبير من سواحل الخليج الفارسي ، واثنان من ملوكها يعرفان باسم سنطرق او سنطروقيس ، أو سنطروقيوس ، ولعل سنطرق ملك البحرين كان من عمال الاشكانية أو أحد أمرائها ·

ج ٢ – لا يعلم ذلك بالتحقيق فقد كانت هذه المغاوص معروفة عند اليونان قبل زمن المسيح ولابد أن معرفة الفرس والعرب بها أقدم من ذلك كثيرا ومن المحتمل أن اللؤلؤ الكبير الذى يوجد فى الآثار المصرية مستخرج من هناك ·

ج ٣ – كتبنا فى ذلك مقالة فى المجلد الرابع عشر من المقتطف لخصناها عن كتاب اصلاح التقويم لمختار باشا الغازى ، أهم ما جاء فيها ان السنة المالية العثمانية تبتدىء بشهر مارث (مارس وآذار) وهي اثنا عشر شهرا شمسيا ، وكانت أموال بعض المقاطعات تجيء على حساب هذه الشهور لا على حساب الشهور القمرية ، ففي سنة ١٠٨٦ هجرية ابتدأت السنة الشمسية التى أولها مارث في الخامس والعشرين من ذى الحجة ، فلما تمت السنة الشمسية ودخلت السنة التالية كانت سنة ١٠٨٧ الهجرية قد دخلت ، ودخلت سنة ١٠٨٨ فوقع الاختلاف والاضطراب فى دفاتر الحكومة ، وعرض

الأمر على الحضرة السلطانية لتصحيح السندات التي حررت لشهر مارث سنة ١٠٨٧ فصدر الفرمان العالي وقيد في ٢٩ مارث سنة ١٠٨٨ أى ألغيت سنة ١٠٨٧ ٠

وقد أخذت الحكومة العثمانية بعد ذلك تحصل الايرادات وتصرف المرتبات على حساب الشهور الشمسية ، ولكن لما كانت السنة الشمسية تزيد على السنة القمرية نحو احد عشر يوما ، فيكون الفرق نحو سنة كل ثلاث وثلاثين سنة لتلحق السنين الهجرية ٠

ولما طبعت سندات القنصليد العثماني في مدة المرحوم فؤاد باشا لم ينتبه الى الغاء سنة ١٢٨٨ منها فعرض الأمر على الباب العالي فأصدر قرارا بابقاء هذه السنة ، وقد كانت السنون المالية والهجرية متقابلة الى سنة ١٢٨٧ مالية فدخلت سنة ١٢٨٩ هجرية أمام سنة ١٢٨٨ مالية ، وبقي الفرق سنة الى سنة ١٣٢٣ هجرية ، فصار الفرق سنتين ، فالسنة المالية الآن ١٣٢٧ ، والهجرية ١٣٢٩ ٠

الفصـــل الثالث

المنـــار وناصـــر الخـــيرى

١ ـ مدخل
٢ ـ المنار وناصر الخيرى
٣ ـ الخلاصة
٤ ـ الرسائل الثلاث
٥ ـ الرسالة الأولى
٦ ـ الرسالة الثانية
٧ ـ المذاهب واختلافها
٨ ـ ترتيل القرآن
٩ ـ الرسالة الثالثة
١٠ ـ نص الرسالة
١١ ـ حكمة تقبيل الحجر الأسود
١٢ ـ المردود السيء للرسالة

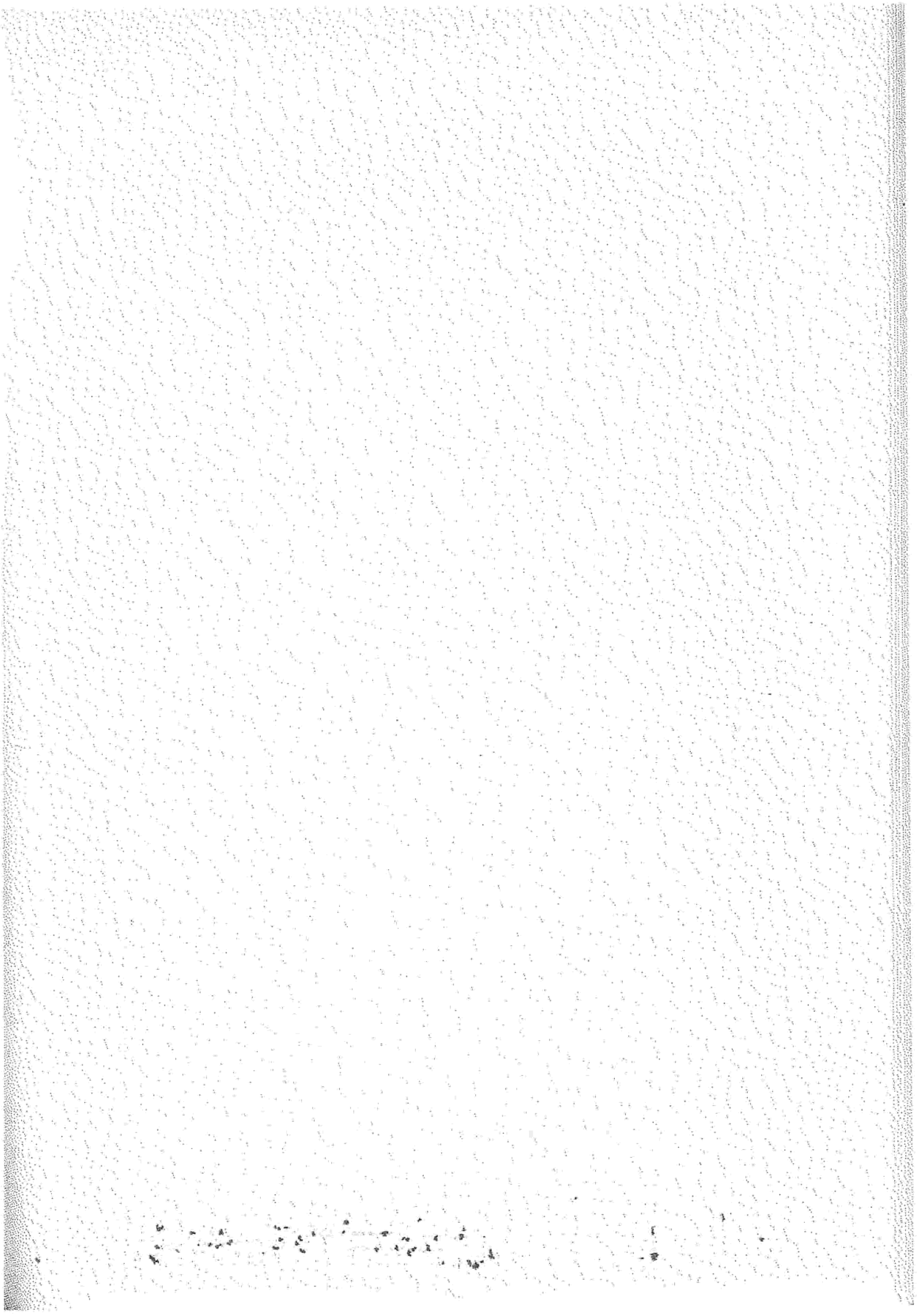

مدخـــل

المثقفون من جيل الربع الرابع من القرن الماضي كان قد برز مردود مشاركتهم الوجدانية والفكرية في توطيد علاقتهم بالشيخ محمد رشيد رضا ٠ كان ذلك من قبل ان يتصل ناصر بمجلة المنار القاهرية ، لقد كان هناك مثلا اتصال بين صاحبها وبين الشيخ مقبل عبدالرحمن الذكير من البحرين وذلك منذ صدورها عام ١٩٩٨ ، ثم ما كان من رسائل هذا الاخير الى الشيخ رشيد بدئاً من عام ١٩٠٣ ٠ ومثل هذا الاتصال ما كان بين الشيخ محمد صالح يوسف خنجي من البحرين وبين الشيخ رشيد منذ ان كان هذا الاخير طالباً بالازهر بدئاً من عام ١٩٠٠ ٠ ثم يأتى ناصر ـ بعد ذلك ـ ليتصل بالمنار ، من خلال رسائله بين عامي ١١ ـ ١٩١٣

كذلك فان هناك رسائل اخرى ذهبت بعد ذلك الى المنار مثل رسالة علي ابراهيم كانو عام ١٩٢٢ ، وخليل الباكر عام ١٩٢٧ ٠

غير أن ناصر كان حتى نهاية عام ١٩١٣ قطب الرحى بين زملائه في علاقتهم الفكرية بصاحب المنار ، أما علاقتهم بأصحاب الصحف الأخرى كالمؤيد واللواء والهلال والمقتطف فلم تعد كونها علاقة قراء بصحيفة سيارة ، ولم ترق يوما الى توطيد المشاركة الفكرية والوجدانية بأصحاب تلك الصحف بمثل ما كانت بين هؤلاء الشباب وبين المنار ، الا أنه حدث أن بعضا منهم كان يظهر تحيزه بقوة ٠٠ الى تفضيل صحيفة دون أخرى مثلما حدث من المرحوم خليل ابراهيم المؤيد الذى أدى به شغفه بجريدة المؤيد الى أن صار الناس يدعونه بخليل المؤيد !

بينما عرف الشاعر قاسم بن محمد الشيراوى بتفضيله لجريدة اللواء وحبه لصاحبها الزعيم مصطفى كامل (١)

أما المنار وصاحبه فلم يختلف اثنان من مجموعة الشيخ مقبل الذكير من قبل ، ومجموعة ناصر الخيرى من بعد على تفضيلهما على ما سواهمـــا من الصحف وأصحابها ٠

المنـــار وناصر الخيرى

فيما سبق تكلمنا عن حضور المنار الدائم في البحرين ٠٠ وتأثيره في مجتمعها ٠ جاء المنار الى البحرين وهي تعيش مناخا فكريا من بقايا المناخ الفكري الاسلامي طيلة السبعة قرون الماضية ابتداء من عام ١٢٥٨م عام سقوط بغداد على يد هولاكو ٠٠ كانت غالبية المثقفين في هذا المناخ ٠٠ لا يخرجون عن كونهم علماء ومشايخ وتلامذة لهم ٠٠ فالتعليم في المدارس الدينية والمساجد لا يخرج عن التفسير والفقه والحديث واللغة والثقافة العامة لا تخرج ايضا عن مطالعة كتب القرون الوسطى في الشعر والأدب والسير وشيء من الحساب لمسك دفاتر الغوص والتجارة وان تطرقت هذه المطالعة في قراءات جديدة ٠٠ فهى لا تخرج عن تداول شعر ونثر أدباء البحرين اوائل منتصف القرن التاسع عشر مثل عثمان بن سند والسيد عبدالجليل الطباطبائي ـ وأبي البحر ـ جعفر بن محمد الخطي ، والشيخ عبدالله بن عثمان بن جامع ٠

وليس أدل على زخم هذا المناخ الفكري عند هؤلاء من اطلاقهم كلمة (عصري) آنذاك على كل من يحاول تغيير النمط السلفي للحياة الى الأفضل ٠ كانت كلمة عصرى ٠٠ تطلق كتعبير ومذمة لكل من يحاول ذلك التغيير ٠٠ كانت هذه الكلمة كتعبير لا تفتأ تجد من تلتصق به من أفراد مجموعة مقبل الذكير من قبل ثم مجموعة ناصر الخيرى من بعد ٠٠ كل ذلك لتصبح سمة تلوح على جبين كل منهم (٢)

---

(١) يقول الأستاذ احمد الشيراوى أن أخاه الأكبر قاسم كان من مؤيدى مصطفى كامل ، ومن محبي جريدته اللواء ٠ لذلك فقد كان يتسقط أخباره في مقاومته للاستعمار على بلاده ، وحين جاء نعيه الى البحرين عام ١٩٠٨ وسمع به قاسم ٠ وكان قد جاء لتوه من قطر ٠٠ قصد مجلس الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة بالمحرق ودخل على المجتمعين به من الشباب وأنبأهم بوفاة مصطفى كامل وهو يجهش بالبكاء ٠

(٢) بقيت كلمة عصرى تطلق في البحرين بمدلولها الذى ذكرته حتى أوائل الخمسينات ٠ ولكن بصورة ضعيفة جدا وقد سمعتها بأذني مرات من أفواه بعض المعمرين ٠

أليس من أفراد مجموعة مقبل هذا من يقرأ الجرائد العصرية كالعروة المقتطف والهلال والمنار والمؤيد واللواء ؟ اذن فهم عصريون ..

أليس من مجموعة ناصر من درس في الهند اللغة الانجليزية ثم درس في مدرسة التبشير في المنامة ..؟ أليس هم وحدهم قراء الصحف اياها ..؟ اذن فهم عصريون لذا يجب الابتعاد عنهم ..

والمنار .. بين تلك الصحف التى يقرأون .. ماذا فعلت ..؟

لقد شذت أنذاك عن كثير من رصيفاتها في المنحى الاسلامي . فكانت على نقيض تلك الصحف في عداوتها للسلطان عبدالحميد الثاني ، وانخراط صاحبها في سلك جمعية سرية تعمل على تقويض حكم عبدالحميد واستبداله بخليفة ديمقراطي يكون ذا حكومة شورية (١) ثم ما كان بينه وبين مؤيدى السلطان في البلاد العربية من حب مفقود .. مثل الذى بينه وبين زعماء الحزب الوطني المصري وقد أبان الشيخ رشيد بنفسه عن ذلك لناصر حين رد على رسالته الأخيرة فقال : **(ويعلم قراء المنار في زمن عبدالحميد أنه كان ممنوعا من ممالكه ، وأن والدي مات والعسكر يحيط بداره ، وكان أخي في السجن لأن المنار وجد عنده ، وكانت الحكومة تعاقب كل من تعلم أنه يقرأ المنار ، او يكاتب صاحبه ، والسبب في ذلك وسوسة جواسيس السوء للسلطان عبدالحميد بأننا نريد اقامة خلافة عربية قرشية في الحجاز أو غير الحجاز ، وكان من هؤلاء الجواسيس مصطفى كامل باشا .**

خلع السلطان عبدالحميد بعد وفاة الأستاذ الامام ، فظهر ورثته من الاتحاديين بعداء للعرب أشد خطرا علينا مما كان من عداء عبدالحميد لنا . جئنا الآستانة ، وحاولنا أن نقنعهم بحسن نية العرب ووجوب انصافهم ، فلم نستطع

---

(١) يقول الشيخ رشيد رضا في المنار ج ١٢/١٩٠٩ مايلي :

(ولولا أننا أنشأنا جمعية سياسية سرية لمجاهدة استبداد عبدالحميد وجعلنا لها جريدة خاصة سميناها باسمها (الشورى العثمانية) وكنا نعزز الجريدة بمنشورات سرية يوزعها عمال مخصوصون في الآستانة ، والروملي ، والأناضول بنفقة من الجمعية لما رضينا بذلك التنديد الاجمالي في المنار ، ومن كان في شك من مجاهدتنا لعبدالحميد في عهد استبداده بأشد مما كتبنا بعد خلعه . فليطلب منا بعض أعداد جمعيتنا) .

ثم جعلوا صاحب هذه المجلة من أعدى أعدائهم وذنبه عندهم انه يدعو الى النهضة العربية ، فكان قصد الحج[1] بما يقوى من سوء ظنهم ولا يؤمن معه غدرهم · وقد صادروا المنار في بريدهم ، ومنعوا دخوله لبلادهم ، كما فعل عبدالحميد لمثل ذلك السبب ·

وقد صار خلفاء مصطفى كامل من زعماء الحزب الوطني وكتاب جرائده جواسيس لهم ، كما كان زعيمهم جاسوسا لعبدالحميد ويتهموننا بما كان يتهمنا به ، وفي مقدمتهم محمد فريد بك[2] وعبدالعزيز شاويش (٣)

هذا بعض ما قاله الشيخ رشيد في رده على رسالة ناصر الاخيرة ، غير أن الدارس لحيثيات حياة الشيخ يخرج بنتيجة حقة في أن الشيخ كان من أشد الداعين الى الوحدة الاسلامية وقد ورث ذلك من تعاليم أستاذيه السيد جمال الدين ، ومحمد عبده [٤]

فالسيد جمال الدين كرس جريدة العروة الوثقى للدفاع عن الوحدة الاسلامية ، وعمل شخصيا في سبيلها كما هو معروف ، أما الامام محمد عبده فمعروف بجهاده في اصلاح شأن المسلمين وقد وقف في وجه المبشرين والمستشرقين الساعين آنذاك الى تكوين دولة عربية مستقلة عن الدولة العثمانية ·

---

(١) راجع رد الشيخ رشيد رضا على رسالة ناصر/قسم ترك بعض العلماء لفريضة الحج ·

(٢) محمد فريد بن احمد فريد رئيس الحزب الوطني المصري بعد الزعيم مصطفى كامل ١٨٦٨ ـ ١٩١٩ · ولد بالقاهرة ومات في برلين بالمانيا ، ودفن بالقاهرة · انفق كل ماله في سبيل الدفاع عن بلاده ·

(٣) عبدالعزيز خليل شاويش ١٨٧٦ ـ ١٩٢٩ تونسى الاصل من رجال الحركة الوطنية بمصر ولد بالاسكندرية وتعلم فى الازهر · واختير استاذاً للادب العربى بجامعة كمبردج · تولى تحرير جريدة اللواء المشهورة لسان حال الحزب الوطنى المصري · حوكم وسجن مرتين من قبل الانجليز في مصر · شارك في تأسيس جمعية الشباب المسلمين بمصر عام ١٩٢٧م

(٤) يقول الشيخ رشيد عن أستاذه الشيخ محمد عبده : (انه هو الذى أرجع بعض المستشرقين عن السعي لانشاء دولة عربية لاعتقاده ان التفريق بين الأتراك والعرب يضعف الفريقين ويسهل على الدول الطامعه محو الدولة الاسلامية من الأرض ·

غير أن الشيخ رشيد وقف في وجه السلطان عبدالحميد كما ذكرنا سابقا وطالب بالاصلاح الجذرى في الدولة العثمانية ، وكان يرفض في بادىء الأمر أن يستقل العرب عنها بدولة خاصة بهم وبعد خلع السلطان عن عرشه عام ١٩٠٩ لم يتحول عن رأيه في اصلاح تلك الدولة ٠٠ حتى أنه عمل مع الاتحاديين ٠٠ ثم تبين له سوء نيتهم في هضم حقوق العرب ، فطالبهم بتكوين دولة عربية مستقلة ٠

الخلاصـــة

في هذا المناخ الفكري تكيفت علاقة ناصر الخيرى الفكرية بالمنار ، فناصر الذى كان يلتهم المنار التهاما ٠٠ كل ما وصل عدد جديد منها الى المنامة ، لم يكن ليتقاعس عن أخذها الى مكتبة المبشرين هناك ٠ وكثيرا ما يصر على أن يكون للمنار مكان بين الصحف الأخرى على طاولة المكتبة ٠

لذلك فقد كان كثيرا ايضا ما يقدمها عددا بعد عدد كهدية الى تلك المكتبة ، غير أن هدية ناصر هذه كانت دائما غير مرغوب فيها من قبل أصحاب هذه المكتبة ٠٠ بسبب أن كل عدد يصدر من هذه الصحيفة كان يحمل بين طياته التبشير بالنهضة العربية الاسلامية الجديدة ٠ التى ستقف امـام المستعمريـن وطلائعهـم من المبشرين والمستشرقين ٠ أضف الى ذلك ما اختصت به المنار من أبحاث قيمة موسعة عن الأديان والعقائد ، وخاصة ما تنشره من التحقيقات عن عقائد اليهود والنصارى ٠٠ لقد كانت تفعل ذلك منذ اصدارها عام ١٨٩٨ حتى توقفها عام ١٩٣٥ ٠

الرسائل الثلاث

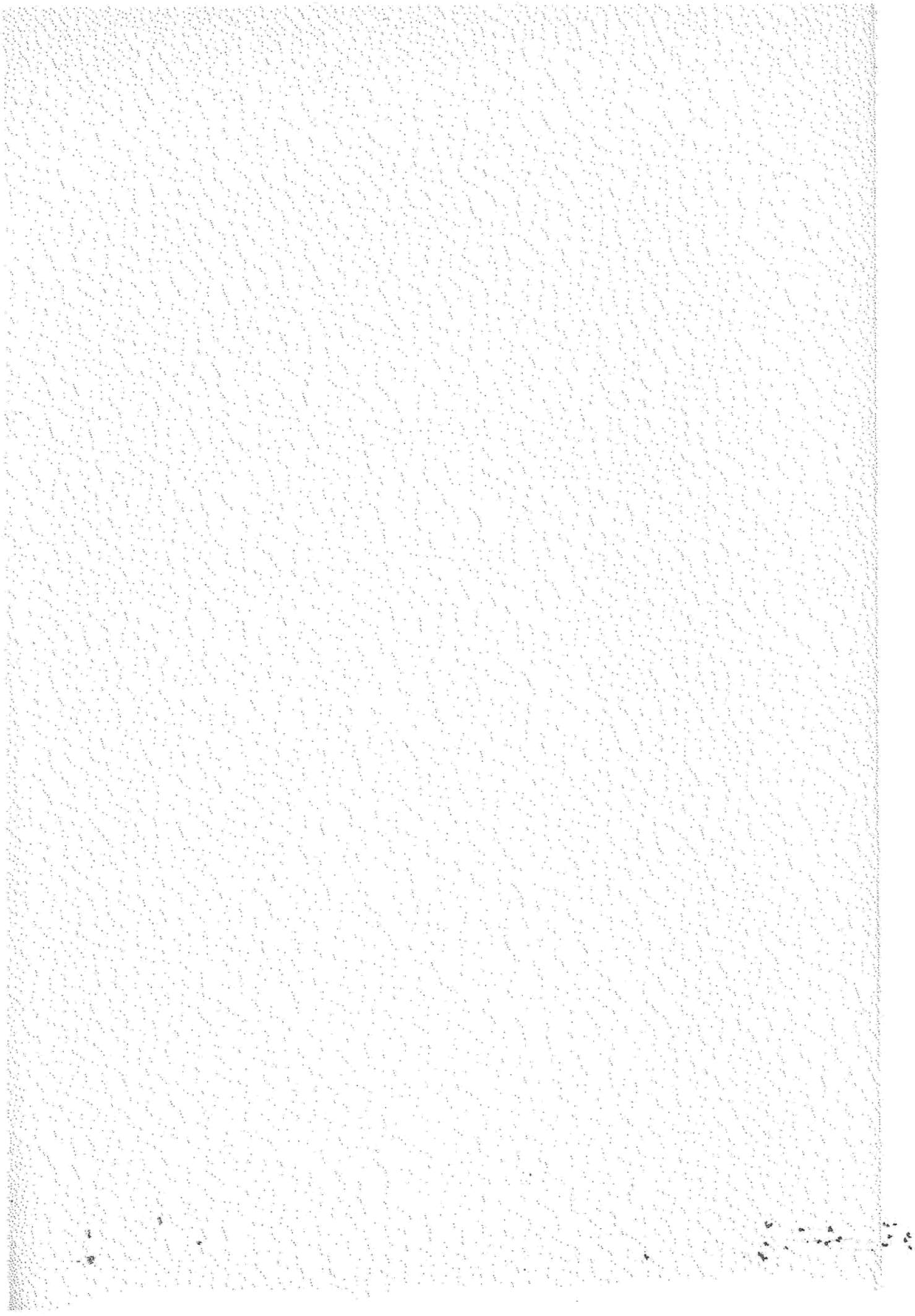

الرسالة الأولى

(عبادة نهر في البحرين برؤيا امرأة)

كتب ناصر الخيرى من البحرين الى الأستاذ محمد رشيد رضا ٠٠ القاهرة بتاريخ ٢٦ يوليو عام ١٩١١ ما يلي :

سيدى الفاضل صاحب المنار المنير أدام الله وجوده ، ثم سلاح الله عليك ورضوانه ٠

وبعد فقد حدث في بلادنا توا حادثا (١) يستحق الذكر ، وذلك ان امرأة من عامة المسلمين ادعت أن أحد المشايخ أو الأولياء على زعمها أتاها في المنام ، وأخبرها انه على مسافة نصف ميل من البلاد يوجد نهر جار (وهو كذلك اذ أن النهر معروف من القدم) وعلى حافة النهر يوجد صخرة كبيرة (وهي أيضا مشاهدة منذ حين) وأنه ضرب بيده تلك الصخرة فتفجر منها الماء العذب ، وأمرها أن تخبر أهل البلاد كي يأتوا ، ويغتسلوا ويشربوا من هذا الماء ، لأن كل من شرب ، أو اغتسل منه برىء من جميع العلل والعاهات ٠

وبالفعل أن هذه المرأة أخبرت أهل البلاد بذلك فصدقها كثيرون من الناس ، وذهبوا الى ذلك النهر ، وأخذوا يغتسلون ويشربون منه وينقلون منه الى القرى المجاورة ٠

---

(١) الصواب = حادث ٠

وبسرعة البرق انتشر هذا الخبر بأطراف البلاد فتهافت الناس على هذا النهر كتهافت القطا ، وعكفوا عليه عكوفهم على الحجر الأسود معتقدين فيه كاعتقادهم بالله ، حتى كثر الضجيج والازدحام عليه بما يفوق حد التصور ، حتى أصبح هذا النهر الصغير في بلادنا شبيها بنهر الكنج بالهند · ولقد ذهبت بنفسي مع بعض الأصدقاء (٢) لمشاهدة ذلك ، ولكثرة الزحام لم أقدر أن أتصل بذلك النهر الا بعد شق النفس ، فرأيت أن النهر لم يتغير كما كان عليه سابقا ·

ولقد رثيت لحالة بعض الأطفال الذين يكادون يموتون غرقا لكثرة ما تغطسهم أمهاتهم في الماء ابتغاء البركة والتقديس ·

فما قول سيدى الأستاذ في ذلك ، وهل الشرع يبيح مثل هذا ، وهل من العدل أن يترك هؤلاء العامة على ضلالهم ··؟ أجيبوا عن ذلك على صفحات مناركم الزاهر · أدامكم الله نبراسا يهتدى به من ضل عن محجة الصواب ·

واقبلوا في الختام فائق الاحترام ·

الداعي المخلص
ناصر بن مبارك الخيرى

وقد أجاب الاستاذ محمد رشيد رضا ناصرا على رسالته هذه بما يلي : ــ

حاشا لله لا يبيح دين التوحيد هذه الضلالة بل الوثنية الظاهرة ، وما حيلتنا والمسلمون قد لبسوا دينهم مقلوبا ، فأنكر كثيرون منهم النفع والضر من طريق الأسباب زعما منهم أن ذلك ينافي التوحيد الذى يقصر النفع والضر على الخالق عز وجل ، لذلك قصروا كلهم في علوم هذه الأسباب التي قوى بها غيرهم حتى سلبهم ملكهم ، والأسباب لا تنافي التوحيد بل تؤيده لأنها سنن الله تعالى ، ولكن الذى ينافيه هو التماس النفع ودرء الضرر من المخلوقات التي جرت سنة

---

(٢) منهم صديقه المرحوم المحامى عبدالواحد قاسم قراطة الذى اكد لنا هذه الحادثة

الله بجعلها أسبابا عامة لذلك ، وهو ما فشى فيهم بتوسعهم بما يسموه الكرامات فقدسوا الأنهار والأشجار والأحجار وطلبوا منها جلب المنافع ودرء المضار ، وهذه هي الوثنية الجلية بعينها ، فتقديس نهركم ليس بالأمر الذى لا نظير له عندهم بل له نظائر في جميع الأقطار الاسلامية أو أكثرها ٠

جعل الحجر الأسود في الكعبة مبدأ للمطاف لكيلا يختل النظام بطواف الناس من أماكن مختلفة ، فيختلط الحابل بالنابل ، فصار بذلك من شعائر الحج ، وقد قال النبي صلى الله عليه وأله وسلم عنه (اني لأعلم أنك حجر لاتضر ولا تنفع) وكذ أبوبكر رواه ابن أبي شيبه والدارقطني ، وقال مثل ذلك عمر جهرا (رواه الشيخان) ونحمد الله أن صان المسلمين من عبادته بطلب النفع منه والاستشفاء به ، وصان بيته من الشرك أن يعود اليه ٠

فاذا كان هذا الحجر الذى لمسه افضل الأنبياء والمرسلين من ابراهيم الى محمد عليهم الصلاة والسلام لا ينفع ولا يضر فكيف ينفع أو يضر مثل عمود الرخام المعروف في المسجد الحسيني بمصر وهو لا يمتاز عن غيره من الأعمدة التي هناك ، ولا عن غيرها ، أو ينفع ذلك الماء الذى صور الشيطان لتلك المرأة الخرقاء فى نومها انه جرى كرامة لولي من الأولياء ٠

ان موسى كليم الله عليه السلام قد ضرب بعصاه الحجر فانفجر منه الماء ، فشرب منه بنو اسرائيل ، ولكن لم يعبدوه ولم يستشفوا به ، ولم يتبركوا به ، ولم يقدسوه ، لا بأمر موسى ولا باجتهاد منهم لأن ذلك يهدم التوحيد الذى جاء به موسى ، فكيف يبيح دين التوحيد أن يقدس ماء ليس له مثل تلك المزية ، بل ليس له مزية ما على غيره ٠

أما والله لو رأيت بعيني من أعتقد أنه من أولياء الله الصالحين ، ضرب صخرا فانفجر منه الماء لما قدست ذلك الماء ، ولا استشفيت به لأجله ، واني لأعلم أن من الماء ما هو سبب لشفاء بعض الأمراض لمعادن تتخلله ولكن لا يوجد في الدنيا شيء ينفع أو يضر كرامة منصوبة لأحد من الأولياء ٠

لو كان في الدنيا شيء ينفع لأجل من اتصل به من الصالحين ، وكان طلب النفع منه مشروعا لكان أولى الأشياء بذلك الحجر الأسود ، وقد علمت ما ورد فيه ، ثم الشجرة التي بايع النبي (ص) تحتها أصحابه الكرام بيعة الرضوان ، وقد

قطعها عمر (رضي) وأخفى أثرها باقرار الصحابة كلهم لما علم أن بعض من لم يفهم الاسلام بدأوا يتبركون بها · ومن المصائب أن صرنا محتاجين الى اقناع المسلمين بالتوحيد ، وأن ترى من الصعب أن يقتنعوا به ، فهل يستغرب مع هذا أن يظهر فيهم رجال ببعض هذه الغرائب التى يسمونها كرامات فيخضع له الأكثرون ·

الرسالة الثانية
(الرقص والتغني)

وهذه رسالة بعث بها ناصر من بومبي بالهند أواخر شهر نوفمبر من عام ١٩١١ الى الأستاذ محمد رشيد رضا بالقاهرة ٠٠ وهذا نصها :

حضرة مرشد الأمة ورشيدها الفيلسوف الحكيم صاحب المنار المنير دام اقباله ٠ ثم سلام الله عليك ورحمته ورضوانه ، وبعد فقد اطلعت على الجزء الرابع من المجلد الثاني عشر لمناركم المنير ، ورأيت في باب الفتاوى السؤال الذى هو لأحد أبناء البلاد العربية في صدد (الرقص والتغني والانشاد في مجالس الذكر) والجواب عليه من علماء الأزهر الشريف ، مع تدليلكم عليه بما فيه من التشديد والنكير على الاطلاق ، وتكفير فاعله ، ومن حضره ، فعجبت جدا لهذا الجواب الذى لا يشوبه أدنى ريب لأن أمثال هذا في نواحينا كثيرا ، والعلماء أكثر ، وكلهم من شافعي وحنفي ومالكي وحنبلى يجوز ذلك ، ويعده من الشعائر الدينية٠

والحقيقة يا سيدي أن الانسان ليحار جدا وتكاد تشكل عليه أمور دينية من حيث أن الأزهريين ، ومن أشرت اليهم من علمائنا كل منهم مقلد لمذهب من هذه المذاهب ، ومع ذلك ترى الفرق كبيرا بين ما يقوله هؤلاء وأولئك من جواز وتحريم ٠ فليت شعرى ما هذا الخلف ، وما هذا الاشكال ٠ وليت شعرى كم لمالك من مذهب ، وكم للشافعي وأخويه من مذاهب ٠ أرشدونا الى الطريق القويم ، أرشدكم الله الى خير الدارين ٠

ثم ما يقوله الأزهريون : (واما نشيد الأشعار بتلك الألحان والنغمات المطربة · فهو حرام لا يفعله الا أهل الفسق والضلال) الى قولهم : (قال الامام الأوزاعي اني أرجح تحريم النغمات وسماعها لقوله عليه الصلاة والسلام : ان الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل) · اني أسلم بتحريم النغمات اذا كان يراد بها الأشعار المحدثة والنغمات المطربه ، ولكن ما قول سيدى الأستاذ في خطبة الجمعة وتلاوة القرآن الكريم حيث أن الاثنين لا يتلون الا بالألحان ، كما لا يخفى عليكم ·

فهل هذا الفسق والنفاق والكفر يتناول هذين أم لا · واذا كان ذلك فما ذنب من حضره أعني السامع · وما هو الا متبع ومقلد ، كما أن الخطيب في نواحينا ، وسائر الأقطار الاسلامية الا القليل لا يدعى خطيبا الا اذا كان ذا صوت جميل · وكذلك تالي القرآن الحكيم · فما هو قولكم في ذلك ، وهو معني قوله تعالى : (ورتل القرآن ترتيلا) ·

أجيبونا على ذلك وسامحني يا سيدى اذا أخذت جانبا من وقتكم النفيس ، أدامكم الله سراج هدى يهدى به من ضل عن محجة الصواب ، واقبلوا في الختام فائق احترامي ·

المخلـــص
ناصر مبارك الخيرى

المذاهب واختلاف فقهائها

وجاء الرد من الأستاذ محمد رشيد رضا على هذه الرسالة مصنفا بعناوين كثيرة هى كالآتي :

اعلم يا أخى أن المجتهد لا يكون فى المسألة الا رأى واحد ، ومن نقل عنه قولان أو أكثر فى مسألة واحدة فاما أن يكون قد قال أحدهما فى وقت ثم رجع عنه فقال القول الآخر فى وقت آخر ، واما أن يكون النقل عنه غير صحيح ، والمسائل التى يتردد فيها ليس له فيها رأى ·

والمذهب له في عرف الناس اطلاقان : عامي وخاصي فالأول هو نقل الأحكام التى قررها أو أفتى بها المجتهد فمن عرفها وعمل بها من غير وقوف على دليل المجتهد عليها واقتناعه به يسمى مقلدا له · وهذا هو معنى المذهب الذى يدعيه الآن جميع المنتسبين الى المذاهب ، لأنهم يظنون أن ما يقوله فقهاء مذاهبهم وما هو منقول في كتبهم كله مروى عن أئمتهم ، وان هؤلاء الفقهاء لاحظ لهم الا نقله وتفسيره ، وعلى هذا بنيتم تعجبكم من تناقض فقهاء كل مذهب فى المسألة الواحدة ·

والصواب أنه يقل فى هؤلاء الفقهاء من اطلع على كتاب للامام الذي يدعي أنه درس فقهه أو قرأ شيئا مما نقله عنه تلاميذه ككتاب الأم للشافعى ، والمدونة لمالك وكتب أبي يوسف ومحمد صاحبي أبي حنيفة رحمهم الله ورضي عنهم ، وانما قرأوا بعض كتب المتأخرين التي سنذكر لها وصف أصحابها ، وما فهموها حق فهمها ، وكلهم يتجرأ على الفتيا فتختلف فتاواهم ، وتتناقض آراؤهم ، وفي كل قطر أفراد منهم ، يثق بهم عوام بلادهم ، كما هى عادة جميع العوام من جميع الملل مع رؤسائهم يقلدونهم كيفما كانوا ، ومهما كانت درجة علمهم أو جهلهم ، فان قاعدة التقليد والاتباع هي أن يثق الأدنى بمن هو أرقى منه ولو فى القراءة والكتابة ، فالأمي يرى متعلم القراءة أو الكتابة أرقى منه ، وان كان عاميا مثله ·

وكل هؤلاء المفتين عاميهم ومتفقههم وفقيههم (ان وجد) ينسبون كل ما يفتون به الى أئمة المذاهب ويتعززون بأسمائهم ويتخذون هذه الأسماء أتراسا ومجانا يدافعون بها كل من يتصدى لارشاد العامة وينهاها عن البدع والخرافات ، بل يتخذونها سلاحا يحاربون به السنة وأنصارها ·

الاطلاق الثاني هو بمعنى ما يسمونه الآن بالمسلك والمبدأ وهو طريقة المجتهد فى استنباطه الأحكام وأصوله التى يفرع عنها كما بين ذلك فى علم الأصول ، وهذا هو المعنى الذى يقصده أصحاب أولئك الأئمة من الانتماء اليهم فى عصرهم · ولم يكن أصحابهم مقلدين لهم يأخذون كلامهم قضايا مسلمة بغير دليل بل تعلموا منهم الاستدلال ونقلوا عنهم علمهم ليكون مثالا يحتذى فى استنباط الأحكام ، كما صرح بذلك المزني صاحب الشافعي فى أول مختصره اذ قال : (اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعي ، ومن معنى قوله

لأقربه على من أراده مع اعلامية نهيه عن تقليد غيره ، لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه) ٠

ثم جرى على ذلك من بعدهم من العلماء ووسعوا دائرة الاجتهاد والاستنباط على ذلك النحو والمذهب ٠ ثم خلف من بعد هؤلاء خلف رضوا أن يكونوا عيالا على من قبلهم واستنبطوا الأحكام من عباراتهم ، وفشت بدعة التقليد والأخذ بقول من يوثق بشهرته من غير دليل ، وما زال الناس يستدلون الى أن وصلوا الى قرارة الهوة التى تعجب السائل من اضطرابهم واختلافهم فيها ٠ وسننشر ان شاء الله تعالى فى جزء تال جملة مفيدة فى هذا البحث عن كتاب الارشاد (للعماد السكرى) رحمه الله تعالى ٠

وجملة القول أن سبب اختلاف ما يسمونهم الفقهاء من أهل المذهب الواحد ، هو أنهم ليسوا ملتزمين للنقل عن امام أو عالم كما هو مقتضى التقليد الذى يدعونه ولا جارين على أصول واحدة فى الاجتهاد الذى يأتونه وينكرونه ، فلا عجب اذا في اختلافهم واضطرابهم ، ولا عبرة فى دعواهم الانتساب الى أولئك الأئمة رضى الله عنهم ٠

وههنا مسألة ينبغى التفطن لها ، وهى دعوى المقلدين ، أن فائدة التقليد منع تشعب الخلاف فى عامة الأمة ، وخاصة اذا حصر فى عدد قليل كالأربعة ٠ وهذه الدعوى ممنوعة لا فى مجموعة المذاهب فقط بل في مقلدة كل مذهب أيضا كما بين السائل ، وكما هو مشاهد لكل ناظر ، وسبب ذلك انه لم يتفق للمنتمين الى مذهب من المذاهب المشهورة المنتشرة في أقطار كثيرة أن يتفقوا على دراسة كتاب أو كتب معينة ويعملوا بها على سواء ، سواء كانت كتب امام ذلك المذهب أو كتب بعض المؤلفين المنتمين اليه ، وانما يتبعون فى كل قطر من تصدروا فيه للتعليم والفتوى فيحرمون ما حرموا عليهم ويحلون ما أحلوا لهم ، ويجرون على ما أقروهم عليه من البدع ، ويتركون ما تركوا من السنن ، وهؤلاء المتصدرون يتفانون فى علمهم واجتهادهم ، وكل منهم يجتهد فى الوقائع التى تحدث فى عصره ، وان أنكر الاجتهاد بلسانه وقلمه ، وانما ينكره على غيره اذا خالف هواه فيه ـ ولذلك تتفاوت أعمال المتبعين لهم ٠

ومن ثم مسألة أخرى يغفل عنها الناس وهي أن علم الفتوى عند كثير من المتفقهة فى أكثر البلاد الاسلامية لا صلة له بالعمل ، فترى أحدهم يحضر الدعوات والاحتفالات التى تؤتى فيها البدع والمنكرات ، ويهنىء أهلها ويدعو لهم ، ولا ينكر عليهم شيئا من عملهم ، ولكنه قد يقرر في الدرس أو يكتب فى الفتوى أو المصنفات ان هذه الأشياء من البدع والمنكرات ، وربما يصفها بأنها مما عمت به البلوى ، ومنها ما يحلونه بالتأويل ، ومنها ما لا يجدون له تأويلا ، فاذا فطن السائل لما ذكرنا يذهب تعجبه ويزول استغرابه مما ذكره ٠

وسيرى الفتوى السادسة بعد هذه أن بعضهم أحل أكل أموال المعاهدين والمستأمنين ولو بالخيانة والسرقة ، وهذا من أغرب شواهد المسألتين ٠

ويدلنا ما ذكر على أن الهداية التى يجب الرجوع اليها اذا ما اختلف الأدلاء ، وعمى الأمر على الناس ، هي كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيرة السلف الصالح فى العمل بهما (فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا) ٠

ويستطرد الأستاذ رشيد رضا فى اجابة ناصر مقدما له فتوى باباحة (انشاد الشعر بالنغمات) قائلا : (اذا حكمنا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه المسألة لا نجد فيهما دليلا على تحريم انشاد الشعر بالنغمات ، والحديث الذى ذكروه لا يصح ، فقد رواه أبو داود والبيهقي عن ابن مسعود ، وفى اسناده شيخ لم يسم وفى بعض طرقه ليث بن أبي سليم ، قال النووى : أنه متفق على ضعفه ، وقد فصلنا القول فى هذه المسألة تفصيلا فى الجزء الأول وما بعده من مجلد المنار التاسع وفيه أن الغناء قد يحرم حرمة عارضة ويكره الاستكثار منه ولكن الأصل فيه الاباحه ٠ ويستحب فى الزفاف والعيد وعند قدوم المسافر ، كما بيناه هناك ، فلا هو فسق ولا كفر ولا نفاق ٠

الخطبة بالألحان ، والسنة فيها

وأجاب الأستاذ رشيد ناصر عن الخطبة بالألحان ، وشجب الألحان والنغمات والأشجاع المتكلفة فيها فقال : (روى مسلم وابن ماجه عن جابر رضي الله

عنـــه قال :

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته ، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم) الحديث ، فهذه السنة فى كيفية أداء الخطبة ،وهذا ما يرجى به التأثير والاتعاظ بها التى شرعت لأجله ، وكل أداء يخالفه فهو مكروه ، وأشده كراهة تكلف الألحان والنغمات فيها كما يفعله بعض الترك ، وغيرهم ، واذا قيل بحرمة هذه الألحان والنغمات الموسيقية فى الخطبة لم يكن بعيدا ، لأنه على مخالفته للسنة الصحيحة تشبه بالكفار فى خطبهم الدينية ، وعبادتهم ولو من بعض الوجوه · فان لم يكن تشبها لاشتراط القصد فى معنى التشبه ، كان تركا لما أمرنا به من مخالفتهم فى أمثال هذه الأمور · ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بصيام عاشوراء وقيل له أن اليهود تصومه أمر بمخالفتها بصيام يوم قبله أو بعده ، ولأنه مفوت لحكمة الدين فى الخطبة ، وهو الزجر المؤثر فى القلوب ، والوعظ الذى يزع النفوس ، وهذه النغمات من اللهو الذى ترتاح اليه النفوس ، وتستلذه وترويح النفوس بالمباح غير محظور ، ولكن الخطبة لم تشرع له ، والمساجد لم تبن لأجله ·

وقد صارت الخطبة فى أكثر البلاد الاسلامية رسوما تقليدية مؤلفة من أسجاع متكلفة كسجع الرهبان ، وتؤدى بنغمات موقعة كنغمات القسوس والرهبان ، وقد قارب السنة فيها بعض الخطباء المصريين والسوريين ، ولم أر خطيبا ذكر فى خطبته النبي صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة ·· زارني سيد عراقي مثل لي تحريض العرب على القتال بخطبة تضطرب لها القلوب ، وتثير كوامن الحمية والنجدة من قرارات النفوس ·

وعن تلاوة القرآن بالألحان أجاب الأستاذ محمد رشيد ناصر بالايجاب وحبذ تلاوة القرآن بالتغنى · ولكن ليس بتكلف الألحان والتطريبات المخالفة لروح القرآن فقال : (قال صلى الله عليه وسلم) : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) رواه البخارى عن أبي هريرة وأحمد وأبود داود وابن حيان والحاكم من حديث البراء بن عازب وصححه النبي صلى الله عليه وسلم قال : (زينوا القرآن بأصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا) ·

وقد ذهب بعض العلماء بأن التغني بالقرآن معناه الاستغناء به عن غيره ٠٠ وهذا غير صحيح بدليل حديث أبي هريرة المتفق عليه فى الصحيحين ، ومسند أحمد وسنن أبي دواد والنسائى (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن) ٠ فأى علاقة للاستغناء بحسن الصوت ٠ ودليل قول أبي موسى الأشعرى للنبي صلى الله عليه وسلم لما أخبره انه استمع ليلة لقراءته (لو كنت أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيرا) ٠

على أن علماء السلف قد اختلفوا فى هذه المسألة فأنكر قراءة الألحان بعضهم وعرفها آخرون ٠ وقد أورد حجج الفريقين ابن القيم فى زاد المعاد ، وجمع بينها بأن المنكر هو تكلف الألحان الموسيقية والتطريبات غير الطبيعية ، والمعروف هو ما اقتضته الطبيعة من التطريب والتحزين والتشويق الى ما يشوق اليه ، والتنفير مما ينفر منه ، وهذا هو الصواب الذى يتفق مع حكمة الشرع ومقصد الدين ، أعني الاهتداء بالقرآن وتدبره والاتعاظ به ٠ ومن شاء التفصيل فى ذلك فليراجع كتاب زاد المعاد ، وربما ننقله فى فرصة أخرى اذا اقتضته الذكرى.

ترتيل القرآن

واختتم الأستاذ رشيد رضا أجوبته هذه لناصر الخيرى بالكلام على ترتيل القرآن فقال : (الترتيل من الرتل (بالتحريك) وهو انتظام الشيء ، واتساقه وحسن تنضيده ٠ يقال ثغر رتل ومرتل اذا كانت الاسنان حسنة النظام والتنضيد ٠ فترتيل القرآن عبارة عن تجويد قراءته وارساله من الفم بالسهولة والتمكث وحسن البيان (لا تحرك به لسانك لتعجل به) و (وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) ٠

والغرض من الترتيل الذى ينافي العجلة ويقتضي المكث والتأني ، هو أن يفهمه السامع كالقارىء ، ويتمكن كل منهما من تدبره وفهمه ، ويصل تأثيره الى أعماق قلبه ، وحسن الصوت أقدر على اتقان الترتيل ، وفصيح اللسان أملك لحسن البيان والتجويد وأجدر بقوة الافهام والتأثير ٠ وانما كرهت النغمات

المتكلفة ، والألحان المتعملة ، لأنها تشغل القارىء والسامع بالصوت والصناعة فيه ، عن تدبر الكلام والاتعاظ به ، فالفرق بين التغني المحمود والتغني المذموم ، والتلحين المعروف والتلحين المنكر ، هو أن المحمود المعروف ما يشغل نفسك بالفهم والتدبر ، والاتعاظ والتأثر ، والمذموم المنكر ما يشغلها بالصوت ، واتقان الصناعة فى اللفظ ، والله أعلم وأحكم ٠

الرسالة الثالثة

نادى اقبال أوال ٠٠ القصة

كان الزمان أوائل شهر شعبان من عام ١٣٣١هـ ٠٠ انه بالتحديد بدء تلك الحقبة من السنة الهجرية التى يبدأ فيها حجاج منطقة الخليج ، وما جاورها شرقا فى الاستعداد للسفر الى الحج ، فى أثناء ذلك تألف بعض أعضاء نادى اقبال أوال الليلى فى رهط واحد للقيام بأداءفريضة الحج ، وحدث أن بدأ بينهم نقاش فى صفة مناسكه ٠٠

فى تلك الأيام بالذات وصل فريقا الرهط ـ من أعضاء نادى اقبال أوال ـ فى نقاشهما عن مناسك الحج وشعائره[١] الى الاتفاق فيما بينهما على تقديم أسئلة فى هذا الموضوع الى صاحب مجلة المنار القاهرية لتأتى اجاباته عنها الحكم الفصل فيما اختلف الفريقان فيه ٠ وفوض الجميع ناصر الخيرى فى الكتابة بذلك الى صاحب المنار ، فكتب هذا رسالة ضمنها سبعة أسئلة ، وبعث بها الى صاحب المنار ٠

وقبل نشر الرسالة والرد لا بد من كلمة توضيح وهى انه قد تنازعنا رأيان حول نشر رد صاحب المنار بسبب طول ذلك الرد ٠٠

رأى يقول باثبات نتف منه تفي بحاجة القارىء الى الاحاطة به[٢] ، وآخر يشير باثبات الرد كما هو ٠٠

---

(١) راجع فصل (نادى اقبال أوال) ص ١٣٨ و١٣٩ من كتابنا القاض بن مهزع طبع الكويت ١٩٧٥

(٢) كما فعلنا ذلك بايجاز فى كتابنا (القاضي الرئيس قاسم بن مهزع)

وبما أننا هنا فى هذا الكتاب نترجم لناصر ذي العلاقة الفكرية بصاحب المنار عبر رسائل الأول وردود الثاني عليها ، وخاصة رسالته هذه ، والرد عليها وما نتج عنه من اغلاق نادى اقبال أوال اثرنا نشر رد صاحب المنار على هذه الرسالة كاملا ٠

نص الرسالة

الى حضرة سيدى العلامة المصلح العليم مرشد الامة ، ورشيدها الفيلسوف الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير أدام الله تعالى شريف وجوده ، وسلام الله عليك ورحمته ورضوانه ٠

وبعد فالداعي لتحريره عرض مسألة عرضت لنا فى هذه الأيام ، وهو اننا عشرة أشخاص نوينا هذه السنة التوجه لحج بيت الله الحرام والتمتع بمشاهدة مهد الاسلام ، وبهذه المناسبة صار جدال وكلام كثير بخصوص الحج ، ومناسكه فألجأنا الى طلب الاستهداء من حضرتكم لارشادنا الى السبيل الأقوم والصراط المستقيم ، فعليه قدمنا هذا الكتاب مؤملين فيه الجواب من حضرتكم على هذه الأسئلة وهى :

علما أن الله سبحانه وتعالى قد اختار لنا الاسلام دينا ، وجعل هذا الدين مقاما على خمسة أركان رئيسية ، وهى شهادة ، ان لا اله الا الله ، وأن محمد (هكذا فى النص) رسول الله ، واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان ، والحج الى بيت الله الحرام من استطاع اليه سبيلا ٠

هذه هى الخمسة الأركان التى لا يكمل الاسلام الا بها ، وبفضل المنار المنير ، وباقي كتب العلماء المصلحين الأفاضل قد فهمنا المقاصد والحكم من الصلاة والزكاة ، والشهادتين والصيام ٠ كما فهمنا المقصد من الحج على الوجه العام ٠

ولكن اسمح لنا يا حضرة المفضال الحكيم أن نقول أن فى الحج بعض أعمال لم نعرف الحكمة منها ، فلذلك جئنا بهذا الكتاب اليك نلتمس منك هدايتنا الى ما جهلناه وهو :

١ ـ ما هى الحكمة على تقبيل الحجر الاسود اذا عرفنا انه حجر عادى ، لا يضر ولا ينفع ، ولا يخفي ما فى ذلك من المظاهر الوثنية ؟

٢ ـ ما الحكمة فى رمي الحجارة (الجمار) فى القليب فى مزدلفه ؟

٣ ـ ما الحكمة فى الهرولة بين المروتين ؟

٤ ـ ما المقصد من ذبح الذبائح على كثرتها ، ودفن لحومها فى منى ، وفى ذلك ما فيه من النتائج الوخيمة التى تصدر من تعفن اللحوم اذ تنتشر الاوبئة فيها ، ولماذا يمنع الناس من أكلها ؟ وهل ذلك لازم ومن المناسك التى لا يتم الحج الا بها على هذه الصورة ؟

ولا يخفاكم ٠٠ مبلغ النقود الطائلة التى يدفعها الحجاج ثمنا لهذه اللحوم ، اذ هى لا تقل عن خمسين ألف جنيه ، فما قولكم لو صرفوا هذه المبالغ على اصلاح آبار مكة وطرقها وتكاياها [1] وتنظيفها ، وعلى كل ما يعود الى الحجاج بالراحة والصحة والسلامة ٠

٥ ـ لماذا أقاموا دون عرفة بنائين عن اليمين وعن الشمال تعرف بالعلمين ، وكل من لم يكن خلف هذين البنائين ليس مقبول الحج مع انه تكلف العناء ووصل الى ما دونهما ؟ ولماذا يكون من خلفها مقبول الحج ، وهو فى لهوه ولعبه وممارسة ما أعتاده فى بلاده من الأعمال ؟ ومن كان دونها غير مقبول ، ولو كان على غيرك ذلك ، وهل هذان البناءان حد فاصل بين الله والناس ، أو بين الجنة والنار ؟

٦ ـ نرى كثيرا من علماء الامة الاسلامية ومرشديها المصلحين منهم من عاش ومات ولم يحج مع انه رحل فى سنته مرتين ، أو ثلاثا الى أوروبا ، أو غيرها من البلاد ، ولم يذهب الى مكة ، مع أنه كان الألزم والأوجب أن يقصد مكة

---

[1] التكايا مفردها تكية ٠ وهى أماكن اما خلوية أو داخل المدن يتخذها المتصوفون والدراويش والملالي مقرات لمزاولة أعمالهم التعبيرية ٠

والحج كل موسم للنصح والارشاد ، فهذا ساكن الجنان الأستاذ الامام «١» والمرحوم السيد عبدالرحمن الكواكبى[١] وغيرهم عاشوا وماتوا وهم لم يروا مكة فى وقت الحج ، وحضرتك أيضا ذلك ٠

فما هى الأسباب يا ترى ؟ ونحن نعتقد ان امتناعكم جميعا عن الحج لا بد له من سبب ، فما هو ذلك السبب العظيم الذى يمنع رجال الاصلاح العظام عن الحج المقدس ؟

٧ ـ وكذلك نرى أن جميع ملوك الاسلام وأمرائه واغنيائه لا يحجون ، ولا نرى الحجاج سواهم الا من فقراء الهند والصين والروسيا[٢] وجاوا وبلاد العرب كمصر وتونس وسوريا والعراق وغيرها ، وهكذا كسلاطين آل عثمان (الخلفاء) وأمراء البيت السلطاني ، وأعاظم الرجال من الوزراء والحكام والأغنياء المشار اليهم بالبنان ، كلهم لا يحجون ولا يدور فى خلد أحدهم بأن يحج ٠ فما هو السر فى ذلك يا ترى ؟

وكم عجبنا لما سمعنا بحج أمير مصر قبل سنتين وكثر تحدث الناس فى ذلك حتى تجرأ أحدهم فقال : ان المقصود من حج العزيز[٤] غرض سياسى ، ورحلة فى جهات الحجاز لا غير ، وليس له مقصد فى الحج قطعا ٠

هذا ما وجهناه لحضرتكم ملتمسين التنازل بمجاوبتنا عليه ٠ ولك يا سيدى الخيار فى المجاوبة أن تكون على صفحات المنار ، أو كتاب مخصوص ، واذا كانت فى المنار تكون أعم وأنفع ، وان أردت أن تجاوب على بعضها فى المنار ، وبعضها كتابة مخصوصة ، فالأمر اليك ٠

---

(١) الشيخ محمد عبده

(٢) عبدالرحمن الكواكبي ١٨٤٩ ـ ١٩٠٢ ولد بحلب.لم يكن على وفاق مع العثمانيين ، دعا الى الاصلاح الدينى والاجتماعى ٠ له كتاب طبائع الاستبداد ، وأم القرى ٠ زار زنجبار والحبشه وأقام بمصر ٠

(٣) ذلك قبل الثورة البولشفية فى روسيا عام ١٩١٧ ٠

(٤) العزيز : يعني أمير مصر آنذاك الخديوى عباس حلمي ٠

ونحن قد اتكلنا بعد الله عليك ، ولنا كبير الأمل أن حضرتك تهدينا الى سواء السبيل ، لا سيما وحجنا يتوقف على جوابكم ، لأنه لا يخفاك اننا نقصد الحج نطلب الأجر والغفران لا الاثم والخسران ٠

فأمط لنا بما أعطاك الله من سعة العلم نقاب الباطل عن وجه الحقيقة ٠ أدامك الله سراجا يهتدى به من ضل عن محجة الصواب والسلام عليك ٠

٤ شعبان سنة ١٣٣١ الى مصر القاهرة

من المخلص

ناصر مبارك الخيرى

هذه رسالة ناصر بحذافيرها ، وهى تعج بتعبيرات تعد آنذاك من تعبيرات المبشرين والمستشرقين ٠٠ حينما كانوا يحاولون النيل من الشعائر الاسلامية ، مثل تعبير ناصر حين قال فى آخر السؤال ما يلى : (٠٠ ولا يخفى ما فى ذلك من المظاهر الوثنية) وغيره كثير ٠ أو قل أن الرسالة بحذافيرها اعتبرت آنذاك من قبيل النتائج الحتمية لتأثير المبشرين فى فكر أصحاب هذه الرسالة ، وقد قال بهذا الرأى كثير من العلماء والمثقفين فى البحرين آنذاك ممن عايشوا هؤلاء المبشرين وعانوا من صولاتهم وجولاتهم التبشيرية فى الفكر والعمل ٠ وقد لمح صاحب المنار الى هذا التأثير ٠٠ وأيد الرأى القائل به وذلك فى رده على ناصر ، كما سيأتى ٠ غير أن رسالة ناصر هذه أصبحت هى المفتاح الذهبى الذى فتح برد صاحب المنار على العقول المتشككة تبشيريا باليقين والايمان ، وما اعتبره الشيخ القاضى بن مهزع ضارا أصبح نافعا ٠٠ ورب ضاره نافعة ٠

---

(١) راجع فصل ما بين ابن مهزع والمبشرين من كتابنا (القاضي الرئيس قاسم بن مهزع) ٠

رد صاحب المنار

قد سبق القول فى مجلدات المنار السابقة عن حكم الحج جملة وتفصيلا والانتقاد على ملوك المسلمين وامرائهم ، انهم تركوا هذه الفريضة ، وعذر الأستاذ الامام[1] رحمه الله تعالى فى تأخير هذه الفريضة الى أن وافاه أمر ربه ، وكون عذرنا عين عذره ، وما نظن ان السائل وأصحابه الذين أشار اليهم قد علقوا حجهم على جواب هذه الأسئلة · ولعله قال ذلك لنبادر الى الجواب عنها ، وها نحن أولاء نبادر الى ذلك ، وان كان لدينا كثير من الاسئلة مقدمة عليها فى التاريخ ·

حكمة تقبيل الحجر الأسود

ما ذكره السائل من تقبيل الحجر الأسود قد سرى اليه من شبهات النصارى والملاحدة ، الذين يشككون المسلمين فى دينهم بأمثال هذا الكلام المبني على جهل قائليه من جهة وسوء نيتهم فى الغالب من جهة أخرى ، ومن عرف معنى

---

(١) ولد الشيخ الامام محمد عبده عام ١٨٤٥ من أبوين فقيرين من أهالي محلة نصر بالمحافظة الغربية · ودرس أول أمره فى الجامع الأحمدى لمدة عامين ، ثم نقله والده الى الجامع الأزهر وحين جاء السيد جمال الدين الأفغاني الى مصر اجتمع الامام به ، وأخذ عنه كثيرا من فلسفته وعلمه ، كان السيد يقول عنه أنه أنجب تلاميذه وأنه لمصر أقوى من الاسطول وأعز من جيش · وقد لبث جمال الدين بمصر عشر سنين ، فكان الأستاذ ساعده الأيمن · تولى تحرير صحيفة الوقائع المصرية الرسمية ، ثم عين مديرا للمطبوعات المصرية ، ثم مستشارا لرئيس النظار رياض باشا · نفاه الانكليز من مصر الى الشام ، ولبث فيها عاما واحدا استدعاه بعده السيد جمال الدين الى باريس · فأصدرا فيها معا مجلة (العروة الوثقى) ·

ثم عاد الى مصر بعد أن انتخب فعين قاضيا جزائيا فى المحاكم الأهلية ، ثم مستشارا فى محكمة الاستئناف ثم عين مفتيا للديار المصرية ·

له التآليف القيمة فى الفقه والتفسير · توفي رحمه الله عام ١٩٠٥ ·

(مجلد خاص)
(عن العروة الوثقى اصدار
عام ١٩١٠ ـ بيروت)

العبادة يقطع بأن المسلمين لا يعبدون الحجر الأسود ولا الكعبة ، ولكن يعبدون الله وحده باتباع ما شرعه فيهما · بل كان من تكريم الله لبيته أن صرف مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين والكتابيين الذين كانوا يعظمونه قبل الاسلام عن عبادته · وقد وضعوا فيه الأصنام وعبدوها فيه ولم يعبدوه · ذلك أن عبادة الشيء عبارة عن اعتقاد أن له سلطة غيبية يترتب عليها الرجاء بنفعه لمن يعبدوه أو دفع الضرر عنه ، والخوف من ضره لمن لا يعبده ، أو لمن يقصر فى تعظيمه ، سواء كانت هذه السلطة ذاتية لذلك الشيء المعبود فيستغل بالنفع والضرر ، أو كانت غير ذاتية له بأن يعتقد انه واسطة بين من لجأ اليه ، وبين المعبود الذى له السلطة الذاتية ، ولا يوجد أحد من المسلمين يعتقد أن الحجر الأسود ينفع أو يضر بسلطة ذاتية له · ولا لأي سلطة تقريب من يعبده أو يلجأ اليه الى الله تعالى · ولا كانت العرب فى الجاهلية تعتقد ذلك وتقوله فى الحجر ، كما تقول فى أصنامها (وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وانما عقيدة المسلمين فى الحجر ما هو ما صرح به عمر بن الخطاب (رضي) عند تقبيله قال (اني أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا اني رأيت رسول الله (ص) يقبلك ما قبلتك) ، رواه الجماعة كلهم ـ أحمد والشيخان وأصحاب السنن · وقد بينا فى المنار من قبل أن هذا القول روى أيضا عن أبى بكر (رضي) ، وروى مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن أثر عمر كان العمدة فى هذا الباب للاتفاق على صحة سنده · وقال الطبرى : (انما قال عمر ذلك (أى مع أنه معلوم من الدين بالضرورة) لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي أن يظن الجهال أن استلام الحجر الأسود من باب تعظيم الأحجار كما كانت العرب تفعل فى الجاهلية ، فأراد أن يعلم الناس ان استلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأن الحجر يضر وينفع بذاته) ·

فان قلت روى الحاكم عن أبى سعيد الخدرى أن عمر لما قال ذلك قال له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : أنه يضر وينفع ، وبين ذلك بأن الله لما أخذ الميثاق على ولد آدم كتب ذلك فى رق وألقمه الحجر وانه سمع النبي (ص) يقول (يأتى يوم القيامة وله لسان ذلق يشهد لمن استلمه بالتوحيد) ·

فالجواب أن هذا الحديث باطل انفرد بروايته عن أبي سعيد أبو هارون

عمارة بن جوين العبدى ، وأهون ما قيل فيه أنه ضعيف ، وكذبه حماد بن زيد ، وقال يحيى بن معين ضعيف لا يصدق فى حديثه ، وقال الجوزجاني : أبو هارون كذاب مفتر ، وقال ابن حيان كان يروى عن أبي سعيد ما ليس من حديثه ، وقال شعبه كنت أتلقى الركبان أسأل عن أبي هارون العبدى فقدم فرأيت عنده كتابا فيه أشياء منكرة في علي (رضي) فقلت ما هذا الكتاب ؟ قال : هذا الكتاب حق ، وقال شعبة أيضا : (أتيت أبا هارون فقلت له أخرج الي ما سمعته عن أبي سعيد ، فأخرج الي كتابا فاذا فيه : (حدثنا أبو سعيد أن عثمان أدخل فى حفرته وانه لكافر بالله · فدفعت الكتاب فى يده وقمت · والذى يظهر لي من كلامهم هذا أنه منافق · فان قيل يقوى حديثه هذا حديث ابن عباس عند أحمد والترمذى ، وغيرهما · قلت ليس فى حديث ابن عباس أنه ينفع ويضر ، وانما فيه أنه يشهد لمن استلمه بحق · فاذا صحت هذه الشهادة مهما كانت كيفيتها فى عالم الغيب ، فهى لا تدل على أن الحجر الأسود يملك لأحد من الناس ضرا ولا نفعا هو مختار فيه ، ولا يطلب أحد من المسلمين منه هذه الشهادة بألسنتهم ولا قلوبهم فيقال أن طلبه عبادة وشهادة ، وشهادة أعضاء الانسان عليه يوم القيامة أصح من شهادة الحجر وليست معبودة بهذا المعنى ·

بقي أن يقال أن هذا الحجر لا ينفع ولا يضر كما قال عمر في الموسم تعليما للناس · وأقره جميع الصحابة عليه · وكان استلامه وتقبيله لمحض الطاعة والاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتبع فى سائر العبادات ، ما هى حكمة جعل ما ذكر من العبادة ؟ وهل يصح ما قيل من أن النبي (ص) تركه في الكعبة مع أنه من آثار الشرك تأليفا للمشركين ، واستمالة لهم الى التوحيد ؟

والجواب أن الحجر ليس من آثار الشرك ولا من وضع المشركين ، وانما هو من وضع امام الموحدين ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم ، جعله فى بيت الله ليكون مبدأ للطواف بالكعبة يعرف بمجرد النظر اليها فيكون الطواف بنظام لا يضطرب فيه الطائفون ، وبهذا صار من شعائر الله يكرم ويقبل ويحترم لذلك كما تحترم الكعبة لجعلها بيتا لله تعالى ، وان كانت مبنية بالحجارة · فالعبرة بروح العبادة النية والقصد ، وبصورتها الامتثال لأمر الشارع ، واتباع ما ورد بلا زيادة ولا نقصان ،

ولهذا لا تقبل جميع أركان الكعبة عند جمهور السلف ، وان قال به وبتقبيل المصحف وغيره من الشعائر الشريفة بعض من يرى القياس فى الأمور التعبدية ٠

وتعظيم الشعائر والآثار الدينية والدنيوية بغير قصد العبادة معروف فى جميع الأمم لا يستنكره الموحدون ولا المشركون ولا المعطلون وأشد الناس عناية به الافرنج فقد بنوا لآثار عظماء الملوك ، والفاتحين والعلماء العاملين الهياكل العظيمة ، ونصبوا لهم التماثيل الجميلة وهم لا يعبدون شيئا منها ، فلماذا نهتم بكل ما يلفظ به قسيس أو سياسى يريد تنفير المسلمين من دينهم اذا موه علينا فى شأن تعظيم الحجر الأسود ، فزعم أنه من آثار الوثنية ، ونحن نعلم أنه أقدم أثر تاريخى ديني لأقدم امام موحد داع الى الله من النبيين المرسلين الذين عرف شيء صحيح من تاريخهم وهو ابراهيم عليه الصلاة والسلام الذى جمع على تعظيمه مع المسلمين اليهود والنصارى ٠٠ الى آخر جوابه المطول فى هذا الباب ٠

وبقي من حكمة استلام الحجر وتقبيله ما اعتمده الصوفية فيها أخذا مما ورد في بعض الأحاديث الضعيفة كحديث على السابق ، وحديث ابن عباس (الحجر الأسود يمين الله فى أرضه) رواه الطبراني ، وهو أنه رمز لمبايعة الله تعالى فكأن الحجر يمين الله تعالى ومستلمه مبايع له على توحيده والاخلاص له ، واتباع دينه الحق ، والأعمال الرمزية معروفة فى جميع الأديان الالهية ٠٠ وقال المهلب : (حديث عمر يرد على من قال أن الحجر يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده ، ومعاذ الله أن تكون لله جارحة ، وانما شرع تقبيله اختيارا ليعلم بالشاهد طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة ابليس حيث أمر بالسجود لآدم) ٠

وليس مراد من قال أنه يمين الله أن لله جارحة ، وانما أراد ما ذكرنا ، والعمدة فى رد هذا القول عدم صحة الحديث فيه ، فان صح وجب قبوله ومعناه ظاهر ٠

قال الخطابي معنى كونه يمين الله فى الأرض : أن من صافحه فى الأرض كان له عند الله عهد ٠ وجرت العادة بأن العهد يعقده الملك بالمصافحة ، لمن يريد موالاته والاختصاص به فخاطبهم بما يعهدونه ٠

وقال المحب الطبرى : (ان كل ملك اذا قدم عليه الوافد قبل يمينه ، فلما كان الحاج أول من يقدم سن له تقبيله نزل منزلة الملك ، ولله المثل الأعلى) ٠

ولعمرى لو أن ملوك الافرنج وعلماءهم أمكنهم أن يشتروا هذا الحجر العظيم لتغالوا فى ثمنه تغاليا لا يتغالون مثله فى شيء آخر فى الأرض ، ولوضعوه فى أشرف مكان من هياكل التحف والآثار القديمة ولحج وفودهم الى رؤيته ، وتمنى الملايين منهم لو تيسر لهم لمسه واستلامه · وناهيك عن من يعلم منهم تاريخه وكونه من وضع ابراهيم أبي الأنبياء عليهم السلام ، وانهم ليتغالون فيما لا شأن له من آثار الملوك والصناع ·

هذا وأن من مقاصد الحج النافعة تذكر نشأة الاسلام دين التوحيد والفطرة فى أقدم معابده ، واحياء شعائر ابراهيم التى طمستها وشوهتها الجاهلية بوثنيتها فطهرها الله ببعثة ولده محمد الذى استجاب الله به دعوته (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) عليهما الصلاة والسلام ·

روى أحمد وأصحاب السنن والحاكم عن يزيد بن شيبان قال : (أتانا ابن مربع (كمنبر واسمه يزيد) الأنصارى ونحن بعرفه ـ فى مكان يباعده عمرو عن الامام [1] ـ فقال أما اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يقول لكم : (قفوا على مشاعركم فانكم على أرث من أبيكم ابراهيم) هذا سياق أبي داود وقد سكت عليه ·

وقال الترمذى حديث ابن مربع الأنصارى حديث حسن لا نعرفه الا من حديث ابن عيينه عن عمرو بن دينار ·

وجملة القول أن مناسك الحج من شريعة ابراهيم وقد أبطل الاسلام كل ما ابتدعته الجاهلية فيها من وثنيتها وقبيح عملها كطوافهم بالبيت وهم عراة ، وان الكعبة من بناء ابراهيم واسماعيل كما هو ثابت عند العرب بالاجماع المتواتر بينهم ، وكانوا يعظمونها ، هم والأمم المجاورة لهم بل والبعيدة عنهم كالهنود ،

---

(١) هذه الجملة مدرجة فى الحديث ، أدرجها رواية عمرو بن دينار ، ومعناها أنهم فى مكان بعيد عن موقف الامام بحيث لا يسمعون كلامه · فقوله يباعده عمرو يعني يذكر عمرو بن عبدالله بن صفوان التابعي أنه بعيد عن الامام الأعظم (ص) أى فلذلك أرسل اليهم رسولا ·

ومن الثابت أيضا أنهم لما جددوا بناءها أبقوا الركنين اليمانيين على قواعد ابراهيم ، وانما اقتصروا من جهة الركنين الشاميين ، ولذلك ورد استلام الركنيين اليمانيين دون غيرهما ، ويقال لأحدهما تغليبا كما يقولون فى تثنية الركن الشامى والركن العراقى الشاميين ولما كانت الكعبة قد جدد بناؤها قبل الاسلام وبعده ، لم يبق فيها حجر يعلم باليقين أنه من وضع ابراهيم الا الحجر الأسود ، لامتيازه بلونه ، وبكونه مبدأ الطواف · كان هو الأثر الخاص المذكر بنشأة الاسلام الأولى فى ضمن الكعبة المذكرة بذلك ، بوضعها وموضعها وسائر خصائصها ، زادها الله حفظا وشرفا ·

وقد علم بهذا أن الحجر له ميزة تاريخية ودينية ، وان كان الأصل فى وضعه بلون مخالف للون البناء اهتداء الناس بسهولة الى جعله مبدأ للطواف ·

ولنا مع علمنا بهذا أن نقول أن لله تعالى أن يخصص ما شاء من الأجسام والأمكنة والأزمنة لربط العادة والشعائر ، فلا فرق بين تخصيص البيت الحرام ، وشهر رمضان والأشهر الحرم ، ومبنى العبادات على الاتباع لا على الرأى ·

وعن حكمة رمي الجمار ·· وهو السؤال الثانى فى قائمة أسئلة ناصر الى الاستاذ رشيد رضا ·· أجاب الاستاذ مخاطبا ناصر بالآتى :

(اذا وعيت ما تقدم كان نورا بين يديك تبصر به حكم مناسك الحج ، أعنى أنها مما تعبدنا الله تعالى لتغذية ايماننا بالطاعة والامتثال ، سواء عرفنا سبب كل عمل منها وحكمته أم لا ، وانها احياء لدين ابراهيم أبي الانبياء امام الموحدين المخلصين ، وتذكير بنشأة الاسلام ومعاهده الأولى ، وان لاستحضار ذلك لتأثيرا عظيما فى تغذية الايمان وتقوية الشعور به ، والثقة بأنه دين الله الخالص الذى لا يقبل غيره ، فان جهلنا سبب شرع بعض تلك الأعمال أو حكمتها لا يضرنا ذلك ، ولا يثنينا عن اقامتها ، كما اذا ثبت لنا نفع دواء من الأدوية ، مركب من عدة أجزاء وجهلنا سبب كون بعضها أكثر من بعض ، فان ذلك لا يثنينا عن استعمال ذلك الدواء والانتفاع به ، ولا يدعونا الى التوقف ، وترك استعماله الى أن نتعلم الطب ونعرف حكمة أوزان تلك الأجزاء ومقاديرها ·

أبسط ما يتبادر الى الذهن من منشأ هذه العبادة ، ان هذه المواضع التى تسمى الحجرات كانت من معاهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، فشرع لنا

أن نقف عند كل واحدة منها نكبر الله سبع تكبيرات ، نرمي عند كل تكبيرة حصاة صغيرة بين أصابعنا نعد بها التكبير ، والعدد بالحصى ـ ومثله النوى فى مثل الحجاز ـ من الأمور المعهودة عند الذين يعيشون عيشة السذاجة ، فنجمع بهذا الذكر بهذه الكيفية بين احياء سنة ابراهيم الذى أقام الدين الحق فى هذه المعاهد ، وبين التعبد لله تعالى بكيفية لا حظ للنفس ولا للهوى فيها ٠

والعبادة منها شعائر يجتمع لها الناس وتقصد الأمة بعملها اظهار الدين والاجتماع والتآلف على عبادة الله تعالى ، وكل أعمال الحج من هذا القبيل ، ومنها ما يقصد به تربية كل فرد نفسه وتزكيتها فقط كالتهجد وذكر الله فى الخلوة ، فلا يقال أن الذكر والتكبير لا يختص بذلك الزمان والمكان ، لأن هذا القول لا يصح الا فى غير الشعائر ، اذ الشعائر لابد فيها من التخصيص ، والتوقيت لأجل جمع الناس عليها بنظام كالأذان وصلاة الجماعة والجمعة والعيدين ٠

أما كون رمي الجمار شرع لذكر الله تعالى فسيأتي حديث عائشة المصرح به جواب السؤال التالى ، وأما سبب وقوف ابراهيم فى تلك المعاهد لذكر الله وتكبيره وعده بالحصى فلا يضرنا جهله ، ويكفينا أن نقتدى به فى هذه الشعيرة كشعيرة الطواف وغيرها من المناسك ٠

وورد فى بعض الأحاديث الضعيفة السند أن ابليس عرض له هنالك أى يوسوس له ويشغله عن أداء المناسك فكان يرميه كل مرة فيخنس ثم يعود ٠ روى الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس (لما أتى خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض) ثم ذكر الجمرة الثالثة كذلك ٠

وروى عن محمد بن اسحاق قال : (لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام ، جاءه جبريل عليه السلام فقال له : طف به سبعا) ثم ساق الحديث ، وفيه أنه لما دخل منى وهبط من العقبة تمثل له ابليس عند جمرة العقبة فقال له جبريل : كبر وارمه سبع حصيات ، (فرماه) فغاب عنه ، ثم برز له عند الجمرة الوسطى فقال له جبريل : كبر وارمه ، فرماه ابراهيم سبع حصيات ، ثم برز له عند الجمرة السفلى فقال له جبريل :

(كبر وارمه ، فرماه سبع حصيات مثل حصى الخذف ، فغاب عنه ابليس ، ثم مضى ابراهيم فى حجه) الحديث ٠

وليس تمثل الشيطان للأنبياء ولا ظهوره لهم بغريب فى قصصهم ، ففى الانجيل المعتمد عند النصارى أنه ظهر للمسيح عليه السلام ، وجربه تجارب طويلة ٠ فاذا صح أن ابليس عرض لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فى أثناء أداء مناسكه بظهر ذاته أو مثاله ، أو بمجرد التصدى للوسوسه والشغل عن ذكر الله تعالى ، فلا غرابة فى قذفه ورجمه كما يطرد الكلب ، فمن المعروف فى الأخلاق والطباع أن يأتى الانسان بعمل عضوى يظهر به كراهته لما يعرض له حتى من الخواطر القبيحة ودفعه عنه ، وبراءته منه ، فأخذ الحصيات ورميها مع تكبير الله تعالى من هذا القبيل ، وان حركة اليد المشيرة الى البعد لتفيد فى دفع الخواطر الشاغلة للقلب ٠٠ والرجم بالحجارة يقصد الدلالة على السخط والتبرى أو الاهانة معهود من الناس ، وله شواهد عند الأمم : كرجم بني اسرائيل مع يشوع النبي (يوشع عليه السلام) لعجان بن زراح وأهله وماله من ناطق وصامت كما فى ٧ : ٢٤ و د/٢ من سفر يشوع ، وكرجم النصارى لشجرة التين التى لعنها المسيح ، ورجم العرب فى الجاهلية لقبر أبى رغال فى المغمس بين مكة والطائف لأنه كان يقود جيش ابرهة الحبشي الى مكة لأجل هدم الكعبة حرسها الله تعالى ٠

والعمدة فى رمي الجمار ما تقدم من قصد التعبد لله وحده ، بما لا حظ للنفس فيه اتباعا لابراهيم أقدم رسل الله الذين بقيت آثارهم فى الأرض ، ومحمد خاتم رسل الله مكمل دينه ومتممه الذى حفظ دينه كله فى الأرض ، صلى الله عليهم أجمعين ٠

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى فى بيان أسرار الحج من الاحياء[1] : وأما رمي الجمار فليقصد[2] به الانقياد للأمر اظهارا للرق والعبودية ٠ وانتهاضا

---

(١) أبو حامد الغزالي فى احياء علوم الدين ٠

(٢) وردت فى الاحياء (فاقصد) و (اقصد) ٠

لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فى ذلك ، ثم ليقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه الله تعالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله ، فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه ، وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان ، فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان ، وانه الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمي ، ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه ، وانه يضاهي اللعب فلا تشتغل به ؟ فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير فى الرمي فبذلك ترغم أنف الشيطان[1]

واعلم أنك فى الظاهر ترمي الحصى الى العقبة وفى الحقيقة ترمي به فى وجه الشيطان وتقصم به ظهره ، اذ لا يحصل ارغام أنفه الا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر ، من غير حظ للنفس والعقل فيه) ٠

وعن السؤال الثالث الذى طرحه ناصر على الأستاذ رشيد رضا بقوله ما الحكمة في الهرولة بين المروتين ٠٠؟ أجاب الأستاذ رشيد بما يلي :

الطواف بالكعبة المعظمة والسعى بين الصفا والمروة من مناسك الحج وشعائر الاسلام من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ٠

وروى ان هاجر رضى الله تعالى عنها كانت تسعى بينهما والهة حيرى عند حاجتها الى الماء ، زمن ولادتها اسماعيل ، حتى هداها الله تعالى الى بئر زمزم ٠ والعمدة فى هذا العبادة ما ذكرناه فى الكلام على رمي الجمار ، من اقامة ذكر الله تعالى فى هذه المعاهد ، التى هى اقدم معاهد التوحيد المعروفة فى الارض واحياء سنن المرسلين فيها ٠

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لاقامة ذكر الله) رواه ابو داود والترمذى وقال حسن صحيح من حديث عائشة ٠ واذكاره معروفة فى المناسك ٠ واما الرمل فيه فهو سنة نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة ومعناه سرعة فى المشى مع تقارب الخطوات من غير عدولا وثب ويسمى الخبب ايضا ، فهو دون العدو وفوق المشى المعتاد ، فان زادت السرعة كان عدوا ٠

اما سبب الرمل فى الطواف والسعي بهمة ونشاط بين الصفا والمروة ، فهو كما يؤخذ من عدة أحاديث اظهار قوة المسلمين للمشركين ، وكان قد علم النبى صلى الله عليه وسلم ان المشركين قالوا عام الحديبية فى المسلمين قد اوهنتهم حمى يثرب ، وروى فى الصحيح ايضا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة لعمرة القضاء قال المشركون ان محمدا واصحابه لا يستطيعون ان يطوفوا بالبيت من الهزال لذلك امر صلى الله عليه وسلم ان يرملوا فى ثلاث طوفات ويمشوا فى اربعة من الاشواط السبعة من طواف القدوم فقط ٠

وكان خطر لعمر ان يتركه لان النبى (ص) فعله لسبب عارض ، ثم بداله فمضى عليه لأنه علم ان المحافظة على ما فعله النبى (ص) ولم ينه كالمحافظة على ما كان فعله جده ابراهيم (ص) ان لم تكن اولى ٠ وروى ابو داود وابن ماجه عنه انه قال : (فيم الرملان اليوم والكشف عن المناكب وقد اطأ الله الاسلام (اى وطأه واحكمه) ونفى الكفر واهله ؟ مع ذلك لا ندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) واصله فى البخارى بلفظ (فما لنا والرمل انما كنا راءينا به المشركين وقد اهلكهم الله ـ ثم قال ـ هو شيء صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نحب ان نتركه) وقوله (رأينا) مشاركة من الرؤية اى اريناهم قوتنا واننا لا نعجز عن مقاومتهم ٠ وقيل هو من الرياء بمعنى اراءه ما هو غير الواقع ، اى اريناهم من الضعف قوة ٠ والرياء مذموم لانه خداع والخداع جائز فى الحرب ، وهذا من قبيل الحرب ٠ وقوله فى الرواية الاولى (والكشف عن المناكب) معناه الاضطباع ، وهو ان يؤخذ الرداء من تحت الابط اليمنى فيلقى على كتف اليسرى ٠ فيظهر المناكب ، وحكمته عين حكمة الرمل ، وقيل انما هو لأجل التمكن منه ٠

وقد ورد فى الصحيح أن المشركين قالوا عندما رأوا النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه يرملون مضطبعين : (اهؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم اجلد من كذا وكذا ، وفى رواية اجلد منا) ٠

فعلم من هذا ان الرمل او الهرولة كما قال السائل [1] انما شرعت فى الطواف

---

(١) يعني ناصر الخيرى ٠

لسبب واننا نحافظ عليه لتمثيل حال سلفنا الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه (رضي) اتباعا وتذكرا لنشأة الاسلام الأولى فى عهدهم ، وهل توجد امة من الامم غيرنا تعرف من نشأة دينها هذه الدقائق بيقين ؟ لا لا فالحمد لله رب العالمين ٠

وحين نصل في رحلتنا الممتعة مع أجوبة الاستاذ محمد رشيد رضا على أسئلة ناصر الى السؤال الرابع الذى يقول فيه ناصر : (ما المقصد من نبح الذبائح على كثرتها ودفن لحومها في (منى) السؤال ..؟ نجد الاستاذ رشيد يجيب عليه كالآتي :

(حكمة ذبائح الهدى والأضاحي معروفة لا يجهلها عامة المسلمين ، وهي طاعة الله تعالى وتقواه ، واظهار نعمته بتوسعة المسلمين على أنفسهم ، وعلى الفقراء والمساكين في أيام العيد ، التي هي أيام ضيافة الله للمؤمنين ، وهي من مناسك الحج احياء لسنة ابراهيم ، وتذكراً لنعمة الله عليه وعلى الناس بفداء ولده اسماعيل من الذبح الذى ابتلاه الله واختبره به لتظهر قوة ايمانه بالله تعالى وايثاره لرضاه . ونعمة الله بذلك على الناس كافة ، انما هي من حين أن اسماعيل هو جد محمد صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الله تعالى خاتما لرسله وهاديا للناس كافة .

قال تعالى في البدن التى تنحر للنسك (فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) وقال في ذبائح النسك عامة (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) الآية . وأما دفن لحومها في هذه الأزمنة التي كثرت فيها الحجاج ، وقلت معرفتهم ومعرفة حكمتهم بأحكام الدين وحكمه ، فليس من الدين في شيء ، وانما هو الجهل بأمر الدنيا والدين . ولو كان للحجاز حكومة عاقلة رشيدة [1] لعرفت كيف تحفظ ما زاد عن حاجة الناس من تلك اللحوم بجعل بعضها قديدا ، وبعضها مقليا من النوع الذى يقال له (قاورمه) ولأفاضت منها على فقراء الحرم طول سنتهم . وها نحن أولاء نرى الأمم العالمة التي تعرف كيف تستفيد من جميع نعم الله تعالى تنقل اللحم الغريض [2] والسمك الطرى من قطر الى قطر ، حتى أن الغنم تذبح في استراليه ويباع لحمها في مصر من شمال أفريقيا ، وفي شمال أوربه أيضا . ونحن قد جعلنا حسنات ديننا سيئات بسوء تصرفنا ، فصرنا حجة عليه في نظر الأمم كلها وهو حجة علينا عند الله تعالى .

---

(١) الكلام على حكومة الحجاز أعوام ما قبل الحرب العالمية الأولى .

(٢) اللحم الغريض : الطرى المثلج

واذا جاز لنا أن تترك هذه الذبائح وينفق ثمنها فيما ذكر السائل فمن يضمن أن يقوم الناس بذلك ؟ ولو كان للمسلمين من الاهتمام بعمران الحرمين ، وخدمة الحجاج ما أشار السائل اليه لما توقف قيامهم به على تركهم لهذا النوع من النسك .

فان كان في الأنعام التي تذبح هنالك ما يضر لحمه الآكلين ، وعرف ذلك بشهادة الأطباء والعارفين ، فالواجب على الحكومة أن تمنع دخول هذا النوع الضار حتى لا يسوق الى الحرم من الغنم وغيرها من النعم الا كل صحيح لا يخشى منه ضرر) .

وعن سؤال ناصر الخامس الذى بدأه بقوله متسائلا لماذا أقاموا دون عرفه بنائين عن اليمين والشمال تعرف بالعلمين ؟

أجاب الأستاذ رشيد رضا ناصرا بقوله : (اذا كان من أركان الحج الوقوف بعرفه وجب أن يكون لعرفه حدود معينة والا بطل معنى فرضية الوقوف فيها ، وهكذا كل عبادة اعتبر فرضيتها مكان أو زمان كالطواف والسعي بين الصفا والمروة ، وصيام رمضان ، وكون الصيام من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، لا تحصل العبادة لمن خرج عن الحد المكاني أو الزماني .

وأما مسألة القبول فهي شيء آخر : ما كل من أتى بأعمال العبادة الظاهرة نجزم بأن عمله مقبول عند الله تعالى ، اذ يجوز أن يكون مرائيا بعمله غير مخلص فيه ، وانما يتقبل الله من المتقين المخلصين ، ولكن المخلص اذا لم يأت بالعمل الذى فرضه الله تعالى كما فرضه تعالى بحدوده من زمان ومكان ، فلا مجال للقول بأن عمله مقبول . لأن العمل لم يوجد . فمن سعى الى الحج ولم يدرك الوقوف بعرفه وراء العلمين اللذين هما أول حدود عرفه لم يدرك الحج حتى يبحث في قبول حجه وعدم قبوله ، ومثله مثل من سعى الى صلاة الجمعة ولم يدرك ركعة منها مع الامام لا يقال أن جمعته مقبولة أو غير مقبولة ، لأنه لا جمعة له ، وان سعى اليها من أول النهار مخلصا لله في ذلك . ولكن الله لا يضيع أجر من سعى الى الحج أو الجمعة ، أو غيرهما من العبادات مع الاخلاص فيثيبه على ذلك وان لم يسقط عنه الفرض ، وكان لابد في الجمعة من صلاة الظهر ، وفي الحج من أدائه تاما في ميقاته وقد علم مما ذكرنا أن العلمين حد لعرفة ، لاحد بين الله والناس ولا بين الجنة والنار .

ترك بعض العلماء لفريضة الحج

وأجاب الاستاذ صاحب المنار ناصر الخيرى على سؤاله السادس بشأن ترك بعض علماء المسلمين لفريضة الحج بقوله :

(الحج فريضة على من استطاع اليه سبيلا ، وهو على التراخي لا الفور اذا وجد العذر ، والخلاف في المسألة مشهور · ولم يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في آخر سنة من عمره ، ولكنه اعتمر قبل ذلك ، ومن ترك الحج وهو يستطيع السبيل اليه حتى مات ، مات عاصيا لله تعالى ولا يقتدى به ، ولا يعد تركه اياه عذرا لغيره · والسائل يقول : (أنه يرى كثيرا من علماء الأمة ومرشديها المصلحين ، لم يحجوا) · وأنا لا أعرف أحدا من العلماء المصلحين ، ولا غيرهم الجامدين الراضين بحال المسلمين السيئة ترك الحج بغير عذر حتى مات ·

وقد ذكر السائل منهم الأستاذ الامام والسيد الكواكبي رحمهما الله تعالى ، وذكرني معهم · فاما الكواكبي فهو من علماء الاجتماع والسياسة لا من علماء الدين · وان كان له مشاركة في الفقه ونحوه لا تنكر ، ولا أدرى أحج أم لا ؟ وأنا ما عرفته الا في مصر ، ولم يكن ذا سعة فيها · نعم انه ساح بعد هجرته الى مصر في جزيرة العرب ، ثم عاد اليها ولكن بمساعدة بعض الناس ، ومن لا يستطيع الحج الا بمال غيره لا يجب عليه الحج ، والا أن يقبل تبرع غيره له بنفقته ان هو تبرع ·

وأما الأستاذ الامام فأنا أعلم أنه كان عازما على الحج ، وقد سمعت ذلك من لسانه ، وانه يريد أن يقيم في المدينة المنورة وما جاورها طائفة من الزمن ، ويبحث عن مواضع غزوات النبى صلى الله عليه وسلم بحثا يستعين به على ما ينويه من الكتابة في تاريخ الاسلام ، وتحرير سيرته صلى الله عليه وسلم · وقد بينت عذره وعذرى ، وسبب تأخيرنا للحج من قبل ·

فمن ذلك قولي في تفسير قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) من جزء التفسير الرابع ما نصه (ان كثيرا من أمراء المسلمين ، وتابعيهم يعلمون أن دون أدائهم لفريضة الحج عقبات سياسية لا يسهل اقتحامها · وقد جاء في صحف الأخبار أن أمير مصر استأذن في حج والدته ، وبعض أمراء أسرته ، فلم يأذن له ·

وقد كان الأستاذ الامام يعتقد اعتقادا جازما في أنه اذا حج يلقي بيديه الى التهلكه ، وانه لا أمان له في الحرم الذى كان يرى الجاهلي فيه قاتل أبيه فلا يعرض له بسوء · وان كاتب هذه السطور يعتقد بمثل هذا الاعتقاد · فنسأل الله تعالى أن يحقق لنا مضمون قوله (ومن دخله كان آمنا) لنمتثل ما فرضه الله علينا من حج هذا البيت) الخ ·

وأقول الآن قد ظهر صحة اعتقاد الأستاذ واعتقادنا هذا في مرض موته حين قبضت الحكومة الحميدية العثمانية في بيروت على الحاج محيي الدين حماده عند عودته من مصر لأنه كان ضيفا له ، وكانت بنت أخيه زوجا له · وأخذت أوراقه وحبسته على وجاهته وحسن سيرته ، وبعده عن السياسة ، ومذهبها · ثم علمنا أن الحكومة كانت ترسل العسكر بعد ذلك ليلا لمراقبة سواحل بيروت وما يجاورها ، لأنها بلغها أن الأستاذ يريد النزول فيها · وكانت هذه الحكومة قبل ذلك ، وبعده تصادر كل كتاب يدخل المملكة العثمانية ، اذا وجد عليه أو فيه اسم محمد عبده ، أو اسم المنار ، أو مطبعة المنار ، دع اسم صاحب المنار · وتمنع أيضا ذكر هذه الأسماء في الجرائد ·

ويعلم قراء المنار في زمن عبدالحميد أنه كان ممنوعا من ممالكه ، وان والدى مات والعسكر يحيط بداره ، وكان أخي في السجن لأن المنار وجد عنده وكانت الحكومة تعاقب كل من تعلم أنه يقرأ المنار ، أو يكاتب صاحبه ، والسبب في ذلك وسوسة جواسيس السوء للسلطان عبدالحميد ، بأننا نريد اقامة خلافة عربية قرشيـــة في الحجاز ، أو غير الحجاز ، وكان من هؤلاء الجواسيس مصطفى كامل باشا ·

خلع السلطان عبدالحميد بعد وفاة الأستاذ الامام فظهر ورثته من الاتحاديين بعداء للعرب أشد خطرا علينا مما كان من عداء عبدالحميد لنا · جئنا الآستانة ، وحاولنا أن نقنعهم بحسن نية العرب ، ووجوب انصافهم ، فلم نستطع · ثم جعلوا صاحب هذه المجلة من أعدى أعدائهم ، وذنبه عندهم أنه يدعو الى النهضة العربية ، فكان قصد الحج بما يقوى من سوء ظنهم ، ولا يؤمن معه غدرهم · وقد صادروا المنار في بريدهم ، ومنعوا دخوله لبلادهم ، كما فعل

عبدالحميد لمثل ذلك السبب · وقد صار خلفاء مصطفى كامل من زعماء الحزب الوطني وكتاب جرائده جواسيس لهم كما كان زعيمهم جاسوسا لعبدالحميد ،[1] ويتهموننا بما كان يتهمنا به ، وفي مقدمتهم محمد بك فريد ، وعبدالعزيز شاويش.

ولكنا دخلنا الآن مع الاتحاديين في طور جديد يرجى أن تمحى فيه سعاية الجواسيس ، فقد اعترفوا أننا نطلب حقا · وأجابونا الى بعضه رسميا ، ووعدوا بالبقاء وعدا مؤكدا [2] فعسى أن يتم الاتفاق ، ويمحو آية الشقاق · ويكون قد ظهر لهم حسن نيتنا واخلاصنا نحن وسائر طلاب الاصلاح من قومنا لهذه الدولة ، وحرصنا على تعزيزها ، واصلاح شأنها · وهذا ما يظهرونه لنا لآن ·

وقد بلغونا أن منع المنار قد ارتفع ، ويترتب على حسن نيتهم في العرب رضاهم بعمران الحجاز ، وعدم خوفهم من زيادة طلاب الاصلاح له في النسك وغير النسك · وحينئذ نرجو أن يوفقنا الله في العام القابل لأداء الفريضة بفضله وكرمه

وعلى آخر سؤال من أسئلة ناصر السبعة ، وهو عن ترك ملوك المسلمين وأمرائهم وأغنيائهم للحج أجاب الأستاذ صاحب المنار بالآتي :

سبق لنا في مجلدات المنار السابقة الانتقاد على سلاطين آل عثمان ، وملوك ايران ، وغيرهم من أمراء المسلمين ترك فريضة الحج · ولكن لم يخطر ببالنا أن أحدا من المسلمين يقتدى بهؤلاء الملوك والسلاطين ، في ترك هذه الفريضة ·

---

(١) لقد جانب الشيخ محمد رشيد رضا الحق فى وصفه الزعيم مصطفى كامل بجاسوس للسلطان عبدالحميد ، فان مصطفى كامل أنزه من أن يوصف بهذا الوصف ، فهو معروف بالنقاء السياسي المنفرد بالاخلاص للأمة الاسلامية ·

(٢) لقد خاب ظن الأستاذ في الاتحاديين وظهروا على حقيقتهم وخصوصا بعد اعلان الحرب العالمية الأولى وأثناءها ، فقد ناصبوا العرب العداء وتعروا على حقيقتهم ·· ايما تعر ·· وقد أفاض هو نفسه عن ذلك في أعداد لاحقة من المنار ·

وكذلك الأغنياء المترفون لا يصح أن يكونوا قدوة في ذلك ، ولا أن يكونوا شبهة من الشبهات على الحج · ومن سوء الحظ القبيح أن يقول مسلم أن حج عزيز مصر الأمير عباس الثاني كان لغرض سياسي ، وأي غرض سياسي يتوقف على أدائه لمناسك الحج ·

على أن كثيرا من الأغنياء يحجون ، فان كان غير الأغنياء أكثر حجا فذلك لأنهم في أنفسهم أكثر عددا وأقل فسقا وترفا ·

هذا ما نراه كافيا في جواب هذه الأسئلة ، فعسى أن يراه السائل كذلك ، والله الموفق ·

المردود السيىء للرسالة والرد (١)

حين وصل عدد المنار المنشور فيه رسالة ناصر الخيرى الى الأستاذ محمد رشيد رضا · واجابة هذا الأخير عليها · قرأ الشيخ قاسم بن مهزع الرسالة وأجوبتها فقامت قيامته ، ولم تقعد حتى أمر باغلاق نادى (اقبال أوال) فأغلق وتفرق شمل أصحابه ، ولم يشفع للنادى أن نصف الرهط من أعضائه يختلفون في (الرأي عامة) مع ناصر · والنصف الآخر معه ، ولكن ليس في الطريقة التي طرح بها ناصر أسئلته على صاحب المنار ، مما اعتبر شذوذا عن الطريقة السليمة لسائل مسلم يسأل عالما مسلما ، بحيث اعتبرت وكأنها أسئلة مطروحة من مبشر أو مستشرق ·

وقد قال يومها المختلفون ـ مع ناصر في طريقة طرح الأسئلة ـ للشيخ قاسم أنهم قد أقروا استفتاء صاحب المنار بأسئلة عن حكمة مناسك الحج ·· لأنهم عازمون على حج البيت هذا العام ، وانهم على علم وفقه بحكمة مناسكه · غير أنهم يودون الاستزادة من صاحب المنار فهما وادراكا لحكمة هذه المناسك ·

وقال بعضهم أنهم لم يطلعوا على الصيغة التي وضع بها ناصر أسئلتهم حتى يوافقوا أولا يوافقوا على ارسالها الى صاحب المنار · وقالوا غير ذلك كثيراً فى سبيل اعادة فتح ناديهم ·

---

(١) الشيخ قاسم بن مهزع ص ١٤٦

أما ناصر فقد دافع عن نفسه من خلال تزكية أسئلته ، فقال أنها وضعت بنية حسنة ، ولقصد تعميم الفائدة وقطع الطريق على ما يروجه المبشرون من الدس في شعائر الحج · واستشهد بصلته القوية بالأستاذ صاحب المنار ، الذى هو حجة في الاخلاص للعقيدة الاسلامية وجميع العلماء المسلمين في البلاد الاسلامية يقرون له بذلك · وان ما بينه وبين الأستاذ من رسائل سابقة وأجوبة الأستاذ عليها لتؤكد ذلك ·

ولم تفلح دفوعات الشيخ الشاب محمد صالح يوسف عند الشيخ قاسم ـ في اعادة فتح النادى ـ شيئا ، كذلك لم تشفع قصيدته التي نظمها في الثناء على الأستاذ صاحب المنار والامتثال لدعوته في الاصلاح الاسلامي · (١) لانة قلب الشيخ قاسم الى جانب أصحاب النادى وخاصة ناصر الذى كان الشيخ قاسم قد هدد بجدع أنفه ، فاستجار بمستخدمه التاجر الكبير المرحوم عبدالله محمد جمعه وكذلك بصديقه هو المستر روبرت ونكاس الوكيل التجارى الألماني في البحرين ، فذهبا به الى الشيخ قاسم واستحصلا منه على عفو عن ناصر ·

بعد ذلك وصلت الحال بأفراد الرهط من أعضاء النادى بأن أطلق عليهم عامة الناس اسم (التسعة الرهط المفسدون في الأرض) فتفرقوا وأصبح بعضهم من رواد مكتبة المبشرين في المنامة مرة أخرى ، حتى قدر لبعضهم أن يلموا شعثهم بعد سبع سنوات ليساهموا في تأسيس النادى الأدبي في المحرق عام ١٩٢٠ وأصبح ناصر فيما بعد من أعمدة هذا النادى ·

برسالة ناصر هذه وجوابها ، وما أثاره على نادى اقبال أوال الاسلامي الاصلاحي من شكوك تحولت بعد ذلك الى ضجيج وتهديد بطلب استتابة أعضائه ـ أمام

(١) قال الشيخ محمد صالح يوسف في مطلع قصيدته ما يلي :

الا في سبيل الله علم يذيعه	رشيد وصدقي في المنار وفي الدرس
لقد سلكا في دعوة الحق مسلكا	قويما وكانا فيه أوضح من شمس
ولولا منار الحق يهدى الى الهدى	بنور لكنا اليوم أضيع من أمس

(١) كان شغف ناصر بالنادى الأدبي يقتضيه في كثير من الليالي أن يبيت في المحرق عند أصدقائه المحرقيين وفي مقدمتهم صديقه الأستاذ أحمد الشيراوى ·

مجلس شرعي ـ ذلك الطلب الذى لم ينجح ٠٠ أوقف ناصر مسلسل رسائله الى صاحب المنار ، خوفا من مضاعفات قد تثار فى هذا الموضوع ٠

بعد أعوام ثمانية من هذه الحادثة ، وعلى عهد المعتمد البريطاني في البحرين الميجر ديلي ٠٠ طلب هذا من ناصر وكان يومها موظفا بدار الحكومة ، أن يوافق على أن يكون كاتبا لقضاء الشيخ قاسم بالمحكمة الشرعية فرفض ٠٠ واستجاب ديلي لرفضه ، ولم يلزمه بذلك ٠

---

(١) لم يكن ديلي ليتراجع عن أمر أمر به ، الا في حالات نادرة ، منها هذه الحالة ٠

الفصل الرابع

ناصر في رسائله الخاصة

١ ـ تقدمـــه
٢ ـ نمـــوذج (١)
٣ ـ تعريف بالنموذج
٤ ـ حول النموذج
٥ ـ وشيء آخر
٦ ـ نموذج (٢)
٧ ـ حول النموذج
٨ ـ وشيء آخر أيضاً

تقـــدمـــه

قبل الحديث عن رسائل ناصر المحلية ، أو نشر شيء منها كنماذج ، لابد من الحديث عن الظروف والأحداث التى أدت بناصر الى كتابة هذه الرسائل ٠

لقد كان مسرح هذه الظروف والأحداث منطقتي المنامة والمحرق فقط ، وبهما بالتحديد ثلاثة مواقع من مواقع الفكر والعمل وهم النادي الأدبي بالمحرق ، وبلدية المنامة ودار الحكومة ٠

هذه المواقع هي مسرح ما اخترناه من نماذج من رسائل ناصر المحلية وهي موجهة بالذات الى أخلص أصدقائه الشيخ محمد بن ابراهيم بن محمد الخليفة ٠

فالموقع الأول هو النادي الأدبي بالمحرق ، أما علاقة ناصر به ، فانه كان من أبرز أعضائه ، وله اسهامات ثقافية فيه ٠ منها اسهامه في أغلب أنشطة النادي الثقافية الكثيرة التي منها احتفالاته بالمفكرين العرب الذين زاروا البحرين أوائل عشرينات هذا القرن مثل الشيخ محمد أمين الشنقيطي ، وعبدالعزيز الثعالبي التونسي ، وأمين الريحاني ، وخالد محمد الفرج (١)

---

(١) راجع نابغة البحرين عبدالله الزائد من ص ١٢٥ الى ص١٣٦ ٠

لقد كان من المعروف والمشهود أن النادي الادبي آنذاك شعلة من النشاط الثقافي والاجتماعي ـ والسياسي من طرف خفي ـ سواء على المستوى الداخلي او الخارجي(١) وكان ناصر لبنة من لبناته يؤيده ، ويدافع عنه ، ويبيت الليلة والليلتين في المحرق بسببه ٠ كل هذا قبل أن يشغله شاغل الوظيفة الرسمية ، ولما شغلها في بلدية المنامة ، ثم دار الحكومة ، حدت من نشاطه بالنادى ، وقللت من حضوره اليه ، فكان اداريو النادى يلتمسون له العذر ، وبذلك أصبحت بلدية المنامة الموقع الثاني للاحداث التى كانت السبب وراء كتابة ناصر لرسائله هذه ٠

لقد شغل ناصر هذه الوظيفة قبل سنتين من تفاقم هوة فقدان الثقة بين المؤسسات الادارية الرسمية الوليدة آنذاك ، وتمثلها بلدية المنامة وبين الحركة الوطنية ، التي كان أعوانها يسيطرون على مؤسستين مهمتين من المؤسسات التربوية والثقافية في البلاد هما مدرسة الهداية بالمحرق بأساتذتها وطلابها ، والنادى الأدبي بشبابه المثقف ٠

ذاك هو الموقع الثاني في احداث هذه النماذج من رسائل ناصر المحلية ٠

أما الموقع الثالث فانه بحلول عام ١٩٢٣ حين بدأت أول مشاهد المفاصلة بين الحركة الوطنية ، ومؤيديها(٢) من جهة وتلك المؤسسات الرسمية(٣) من جهة أخرى كان ناصر قد تعزز مركزه الوظيفي حيث نقل الى دار الحكومة ٠٠ وبذلك فقد أصبح بحكم وظيفته هذه في الضفة الأخرى المواجهة للحركة الوطنية ، وان كان قلبه وفكره معها ، كما يتضح من رسائله ٠٠

---

(١) لقد تحدثت بذلك النشاط كثير من الصحف العربية في العشرينات مثل الشورى والأخبار المصريتين ومجلة سركيس اللبنانية ، وبعض الكتب الأدبية الصادرة آنذاك مثل كتاب (أمين الريحاني فى العراق) لرفائيل بطي ٠

(٢) كان حضور الحركة الوطنية في البلاد كبيرا آنذاك ليس بالنسبة لمهدها بمدينة المحرق فحسب بل أن مؤيديها ينتشرون في جميع اطراف البلاد وأواسطها وخاصة بالرفاع والمنامة وقد كان من أعمدة مؤيديها خارج المحرق قاضي البلاد العلامة الشيخ قاسم بن مهزع وكل العلماء على مستواه

(٣) مثل بلدية المنامة ، ودار الحكومة ٠

غير أن ذلك لم يشفع له اذ لم يعتم أن صنف من قبل الحركة الوطنية بأنه مع الفريق الآخر · ولم يبق من أصدقائه في الحركة الا قلة نادرة على رأسها الشيخ محمد ابن ابراهيم بن محمد الخليفة ، وعلي بن خليفة الفاضل وخالد محمد الفرج الذين كان ناصر كثيرا ما يبثهم شكواه من ذلك التصنيف ··

لقد كانت حراجة الموقف بالنسبة لناصر ـ كمثقف ـ جد بالغة ، ولم يكن ذلك التصنيف الذى بدأ يسرى بين المثقفين في البحرين ليحسن كثيرا من صورته أمام مرؤوسية سواء في بلدية المنامة او دار الحكومة بعد ذلك فقد كانوا يحذرونه ولا يكلوا اليه اعمالا ذات تأثير ·· او ذات اسرار ·

ومع ذلك فقد ازداد موقف ناصر سوءا لا بالنسبة له شخصيا فحسب بل بالنسبة لفكره الاصلاحي وموقفه الوطني المعتدل ، ولقد تفاقم هذا الاحراج حين كلفته دار الاعتماد البريطاني في البلاد بتلاوة ترجمة بيان رئيس الخليج في الحفلة التى دعي اليها اعيان البلاد ·· ذلك البيان الذي نص بتعيين الشيخ حمد بن عيسى الخليفة حاكما للبلاد مكان والده

كان ذلك بتاريخ ١٠ شوال ١٣٤١هـ ·

· ومع ما حدث في ذلك اليوم ، والأيام الحرجة التي تلته ، فان ناصر لم يستطع ترك وظيفته وقد قيل يومها أنه أبدى رغبته في تركها ، الا أنه لم يستطع التخلص منها لحراجة الموقف السياسي في البحرين آنذاك بتدخل سلطة الحماية البريطانية الموغل في شؤون البحرين الداخلية ·

---

(١) مثل رئيس البلدية محمد شريف قطب الدين (خان بهادر) ومعاونه علي حسين الخلفان ·

(٢) مثل الميجر كلايف ديلي المعتمد البريطاني آنذاك ·

(٣) رسالة لناصر الى الشيخ محمد بن ابراهيم بن محمد الخليفة مؤرخة في ١١ شوال ١٣٤١هـ ·

(٤) هناك فرق في التاريخ الهجرى ليوم هذا الحدث فناصر يؤرخه في العاشر من شوال ورئاسة الخليج البريطانية تؤرخه في ٩ شوال ١٣٤١هـ

وخلال الخمسة أشهر التي أعقبت يومذاك الحدث ظل ناصر يمارس عمله في وظيفته تلك ، فكأنه كان ينتظر تكليفاً ثانياً من دار الاعتماد بعمل مشابه للتكليف الأول ·· وهو عمل من شأنه مضادة الحركة الوطنية مرة أخرى ومجابهتها في احرج مواقفها مع سلطة الحماية البريطانية فقد دعي ناصر مرة أخرى لتلاوة ترجمة خطاب آخر ، هو خطاب لرئيس الخليج آنذاك ·

ذلك الخطاب الذى تمخض عن رسالة وجهها رئيس الخليج الى حاكم البلاد آنذاك بشأن شعب البحرين عامة وقبيلة الدواسر خاصة ·

ومع وجود عدد من موظفي دار الحكومة ، ودار الاعتماد البريطاني المؤهلين ·· الا أن الخيار كثيرا ما يقع على ناصر الخيرى بسبب اجادته للترجمة ، والالقاء كما يقول أصحابه ·

وختاما لابد من الاشارة هنا الى أن الرسالتين اللتين سنقدمهما كنموذجين لرسائل ناصر المحلية لا تخرجان عن كونهما حلقتين من مسلسل الرسائل البينية بين أعضاء النادى الأدبي من شباب الحركة الوطنية خلال العشرينات من هذا القرن ، غير أنهما تحملان نكهة الاعتدال بأجلى صوره ، بخلاف كثير من أترابها التى كثيرا ما يحملن صولات وجولات من التطرف ··

---

(١) يقول الأستاذ عبدالله الزائد في رسالة الى الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة مؤرخة في ٢٨ ربيع الأول ١٣٤٢ مايلي :

(يصلكم خطاب أ · ب تريفور الذى ألقاه ناصر الخيرى ·· وبمقتضاه كتب تريور الى الشيخ حمد كتاب لو كان في الوقت فسحة لنسخته اليكم ، وهو يحتوى على أنه مدة عشرة أيام اذا لم يعد الدواسر الى بلادهم يجرى عليهم الثلاثة أمور الواردة في الخطاب ، وهي :

(٢) مصادرة الاملاك ·

(٣) اسقاط ما على التجارة من الدراهم ·

(٤) منعهم من الغوص في البحر ·

وقال : (ان البقية الباقية تخرج من البحرين بعد العشرة ·· الخ)

نمـــوذج (١)

تلك تقدمة موجزة اقتضاها الحديث عن رسائل ناصر المحلية التى سنقدم نموذجين منها ، هما من أهم وأجدر ما كتبه ناصر من رسائل إلى أحد أصدقائه الخلص في البحرين ٠

هذان النموذجان هما رسالتان احداهما أطول من الأخرى ، كان قد بعث بهما ناصر الى صديقه الوفي الشيخ محمد بن ابراهيم بن محمد الخليفة في يوم واحد ٠٠ وبتاريخ واحد ، تقول الرسالة الأولى : ــ

لحضرة محترم المقام وسليل الكرام سيدى الشيخ محمد بن سيدى الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة المحترم حياه الله وأبقاه ٠

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ٠

وبعد فقد أخذت بيد الاحترام كتابكم رقم ٠٠ أمس وأشكركم على ما أبديتم فيه من اللطف وحسن الظن وأسفت لأن ساعة وصوله كنت غائب في (الكوتي) حيث دعيت بأمر من المعتمد صباح أمس خصيصا لتلاوة ترجمة خطاب فخامة رئيس الخليج وقد حضرنا الحفلة ، ووعينا ما كان بها من الأقوال والأفعال ولا نقول ازائها الاخير ٠ لقد تغيرت الحالة من أمس وصار الحاكم حضرة الشيخ حمد ٠هذى[١] هو الحال الظاهر ، والباطن نكل أمره الى علاَم الغيوب ، ولابد ان جنابك تحب الاطلاع على محصل خطاب المومى اليه ، فها هو أرسله لك بطيه ، وعسى به عبرة وذكرى لقوم يعقلون ٠

---

(١) كذا في الأصل : والصواب الا خيراً

(٢) دار الاعتماد البريطاني بالمنامة ٠٠ كان يطلق عليها الناس في البحرين اسم (الكوتي) ٠

(٣) كرنل ٠ اس ٠ ج ٠ ناكس ٠

غائب : هكذا في النص
والصواب غائبا

أرسل لك أيضا المكتوب الذى أرسلته باسم (علي) والمكتوب الذى قد أرسلته بواسطتك الى الشيخ محمد أظن قد فات وقت الاستفادة منه ، فاذا لم تكن سلمته له فلا تسلمه الآن لأنه بدون فائدة ، ولك الاختيار فى ارجاعه لي ان أمكن أو ابادته أو اطلاعه عليه وذلك مفوض لك ٠
هذى[٢] ما لزم بيانه وأطال الله بقاك والسلام ٠
فى ١١ شوال ١٣٤١ هـ

المخلص
ناصر الخيرى

هذى : هكذا في النص والصواب هذا

(٢) الصواب (هذا) ٠

(١) الصواب (هذا) ٠

تعريف بالنمـــوذج (١)

هذا هو نص النموذج الأول ، وفيه يجيب ناصر على رسالة كان قد بعث بها اليه صديقه الشيخ محمد بن ابراهيم · يقول ناصر عن هذه الرسالة أن بها لطف وحسن ظن به هو ، وانه أسف لانه كان غائبا في مقر المعتمد البريطاني ، الى آخر ما جاء في نهاية الفقرة الأولى من الرسالة ·

أما في الفقرة الثانية فيقول ناصر فيها لصديقة أنه أرسل الكتاب الذى أرسله هو اليه باسم علي بن حسن الخلفان وان الكتاب الذى كان قد بعث به ناصر عن طريقه الى الشيخ محمد بن عبدالله بن عيسى الخليفة قد فات وقت الاستفادة منه ··

ويوصي ناصر صديقه بأنه اذا لم يكن قد دفع بالكتاب المذكور الى صاحبه ، فله الاختيار في رده الى ناصر أو التخلص منه أو اطلاع صاحبه عليه ·

هذا مجمل ما جاء في نص الرسالة النموذج هذه ، وهي ذات شقين ·· وقد لا تشفي حالتها الظاهرة غليل القارىء ، وقد يعتبرها من باب تحصيل الحاصل · فهى رسالة من صديق الى صديقه ·· وقد لا تستحق من لدن الباحث ذلك الاهتمام الباعث على الدراسة والتحقيق · غير أن الأمر بعكس نلك في منظور اى باحث ذى خلفية كبيرة مليئة بدقائق الأحداث السياسية والاجتماعية والادبية التى ظهرت في البحرين خلال العقد الثاني من القرن العشرين ·

فماذا تعني مثل هذه الرسائل البينية لمثل هذا الباحث انها تعني رسائل أما ادبية كرسائل الأديب الشيخ محمد صالح يوسف خنجي الى الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة ، أو وطنية كرسائل الشاعر عبدالله الزائد الى الشيخ ابراهيم ايضا او رسائل مشابهة اخرى ·

حول النموذج

نأتي الآن الى استقراء نموذجنا الأول لنرى أنه ذو شقين كما أسلفنا ، ففي الشق الأول تأتي فاتحة النموذج ٠٠ الى آخر ماجاء فيه عن تلك الحفلة التى أقامها رئيس الخليج بدار الاعتماد بالمنامه ٠٠ وماكان بها من أقوال وأفعال التى لم يستطع ناصر تفصيلها لصديقه الشيخ محمد ٠٠ نظرا للظروف السياسية الحرجة آنذاك ٠

وكل ماستطاع ناصر أن يقوله في هذا الصدد أنه حضر الحفلة التي أقامها المعتمد البريطاني للشيخ حمد ولي العهد آنذاك حيث نصب أميرا على البحرين مكان والده الذى نحي عن امارة البلاد ٠٠ وبذلك أصبح الشيخ حمد أميرا على البلاد منذ العاشر من شوال ١٣٤١هـ[1] الموافق ٢٥ مايو ١٩٢٣ ٠

هذا أهم ماجرى في ذلك اليوم بمقر المعتمد البريطاني بالمنامه أمام سمع وبصر العشرات من أعيان البلاد ، غير أن الرسميين البريطانيين في الخليج كانوا يقولون خلاف ذلك ٠٠ كانوا يجيبون كل مستفسر عن هذا الحدث سواء من الرسميين في البلاد العربية ، أو العالمية أن الشيخ حمد أصبح نائبا لوالده

يقول الأستاذ أحمد حسن ابراهيم اجابة على سؤال كنا قد طرحناه عليه عن علاقة ناصر بهذا الحدث : (ان ناصر دعي الى الكوتي لتلاوة ترجمة خطاب المعتمد

---

(١) راجع احدى حواشي المقدمه

البريطاني في حفلة تنصيب الشيخ حمد أميرا للبلاد ٠٠ فبعد أن قام المعتمد وتلى الخطاب الذى نص على التنصيب باللغة الانكليزية ناوله الى ناصر الخيرى فتلاه على الحضور باللغة العربية ٠٠

وان ناصر مرض بعد ذلك مرضا شديدا متأثرا بما جاء فى الخطاب ، وقال : (ان أيادى الشيخ عيسى بن علي علينا كثيرة ، ولم أكن أتوقع أن أقوم بما قمت به) ٠

هذه شهادة معاصرة لعلاقة ناصر بذلك الحدث ، اخترناها من عدة شهادات مماثلة ٠ أما ناصر نفسه فهو يؤكد ذلك لصديقه محمد بقيامه في اليوم التالي بارسال محصل خطاب المعتمد البريطاني اليه بطي رسالته النموذج هذه ٠

ومع أسفنا لعدم استطاعتنا العثور على نص الخطاب الذى تلاه ناصر ، الا أن مضمونه كان قد وصل الى القاضي الشيخ قاسم المهزع ضمن رسالة وجهها اليه رئيس الخليج آنذاك في نفس اليوم الذى أقيمت فيه حفلة التنصيب[1] من هذه الرسالة نقتطف الآتي :

(٠٠ ومن الآن وصاعدا سعادة المشار اليه الشيخ عيسى لا يتدخل فى أوامر الحكومة لذلك قصد محبكم أن يتذكر حضرتكم فى خصوص وضائف القضاة وترتيب المقدمات الشرعية أنه سوى حكومة البحرين الذي هو الشيخ حمد ومعتمد الدولة البهية ما لأحد مجاز أن يراجع ٠٠)

تحريرا في مي سنة ١٩٢٣
مطابق ٩ شوال ١٣٤١
كرنل ٠اس٠ج ٠ناكس
رئيس الخليج

---

(١) راجع القاضي الرئيس قاسم بن مهزع ٧٤ ٠

وشيء آخر

هذا شيء من الاستقراء الموجز للشق الأول من النموذج الأول أما الشق الثاني منه فيكرسه ناصر لذكر بعض الرسائل المتبادلة بينه وبين صديقيه الشيخ محمد بن ابراهيم بن محمد الخليفه ، والشيخ محمد بن عبدالله بن عيسى الخليفة ٠

في هذا الشق أيضا ذكر لرسالة كان قد بعث بها الشيخ محمد بن ابراهيم الى علي بن حسين الخلفان نائب رئيس بلدية المنامة عن طريق ناصر الخيرى ٠٠ تلك الرسالة التي اطلع عليها ناصر ـ باجازة من مرسلها ـ فرأى فيها رد من صديقه الشيخ محمد على علي بن حسين الخلفان بشأن اتهامه بعض شباب النادى الأدبى بتكوين جمعية سرية ٠(١)

وكذلك فان بالشق ذكراً لرسالة كان قد بعث بها ناصر الى محمد بن عبدالله أيضا عن طريق محمد بن ابراهيم الى آخر ماجاء في الشق ٠

كل ذلك يؤكد لنا وجود رسائل متبادلة بين أعضاء النادى الأدبى الذين منهم ناصر وصديقيه ٠ تلك الرسائل التي نأمل أن نعثر عليها سعيا وراء اكتمال المعلومات عن النادى الأدبى للمساعدة في محاولة الحصول على صورة واضحة عن حياة النادى على جميع الأصعدة التى مارس فيها أنشطته ٠

---

(١) الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين ص ٩٥ ٠

كذلك يتبين من هذا الشق أيضا كيف استمر ناصر في خدمة الحركة الوطنية بصورة سرية مستغلا موقعه الوظيفي الحساس في تزويد الحركة الوطنية بالمعلومات الرسمية التي يستطيع الحصول عليها · تلك المعلومات التي قد تؤثر في مصير الحركة الوطنية سلبا أو ايجابا ·

لقد كان ناصر يفعل ذلك اختياريا دون أن يضع في حسبانه الحصول على رد اعتباره ـ كوطني مخلص ـ من قبل قادة الحركة الوطنية بعد تصنيفه في الضفة الأخرى المواجهة للحركة الوطنية ·

كان يقدم معلوماته مشفوعة برأيه المعتدل الحصيف الذى كان يبنيه على أساس مايطلع عليه من ظواهر اجتماعية أو سياسية بحكم موقعه القريب من مواقع صنع القرار في وطنه ·

كانت صلة ناصر بصديقيه المحمدين (١) هي الجسر الموصل بينه وبين أقطاب الحركة الوطنية فيما يقدمه من خدمة عبر موقع عمله ، وذلك رغم البون الشاسع في سلوكيات صاحبيه اللذين يختلفان من حيث التطرف والاعتدال في تأييد الحركة الوطنية ·

فالأول مثقف جدا ومعتدل جدا · والثاني لم يكن له حظ كبير من الثقافة ، ولكنه وطني ثائر ·· بل أنه يكاد يكون على رأس القادة الشباب في الحركة الوطنية (٢) وهذه أهم المميزات التي أهلته لأن يكون أول رئيس للنادى الأدبي بالمحرق · (٣)

هذا كل ماأمكننا جنيه من فوائد خلال تشريحنا لهذا الشق من نموذجنا الأول ، فهو على صغره ومحدودية كلماته ، بما يسمى مخاطبة بالحرف الواحد ، الا أنه يشي بوفرة الافادة وسرية التراسل ·

---

(١) هما الشيخان محمد بن ابراهيم بن محمد الخليفة ، ومحمد بن عبدالله بن عيسى الخليفة ·

(٢) أمثال عبدالله الزائد ، وخالد الفرج ، وأحمد الشيراوى وسعد الشملان ، وابراهيم عبدالله كمال ·

(٣) كان محمد بن عبدالله بن عيسى بن علي الخليفة أول رئيس للنادى الأدبي بالمحرق ، وكان من الشباب المتحمس في تأييد الحركة الوطنية منذ مفتتح عشرينات القرن العشرين · فلما عزل جده عن حكم البحرين عام ١٩٢٣ ثارت ثائرته مع الثائرين وذهب في تأيد الحركة الوطنية ـ المعارضة لهذا الاجراء من قبل الانكليز ـ كل مذهب ، فكان أن نفي من المحرق الى الصخير لمدة عام واحد ، والزم بدفع غرامة قدرها خمسة آلاف روبية دفعها عنه والده ·

نموذج (٢)

سيدى الاجل الاكرم الشيخ محمد بن سيدنا المكرم الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة المحترم دام موفقا محروسا ٠

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ثم يا سيدى وصلنى كتابك وما حررت به كان مفهوم ويؤسفنى انك علقت على هذه المسئلة (١) اهمية كبيرة حتى تنازلت لسؤال (علي) عنها والدخول معه فى باب السؤال والجواب على خلاف عادتك وليت شعرى ما الذى يهمك مما قد ينسب اليك كذب وافتراء طالما انت براء منه ٠ ورايى عدم الخوض فى هذه المسئلة (٢) مع المذكور الآن اذ انها ليس من الحكمة والصالح فى شىء ـ بل ربما ادى الخوض فيها الى عكس المقصود منها ـ نظرا لاضطراب الافكار فى هذه الايام ثم لا ينبغى ان نستبعد ان يكون ذالك (٣) من نوع الاشباك (٤) التى تلقى للايقاع بالنادى واهله ومن ينسب اليه اذ يدخلـون معهم فى باب المجادلات لا والمماحكـات (وقلتم ولم نقل) حتى يصلون (٥) معهم الى الغاية التى يتوخونها ٠

(١ ـ ٢) كذا فى النص والصواب : المسألة
(٣) كذا فى النص والصواب : ذلك
(٤) كذا فى النص والصواب : الشباك
(٥) كذا فى النص والصواب : يصلوا

ولا تستعظم شيء فى هذا الزمان اذ كل شيء جائز · والحكمة تقضى على اهل النادى ان لا يسمحون (١) باجراء ما يسبب القال والقيل ولو جاء شيء من باب المزاح وهذا واجب الرئيس ان لا يتساهل فى شيء من ذالك (٢) ·

وقد سمعت انا شيء (٣) من هذه الاشاعة التى اشرت اليها ولكن على وجه عام لم تخصص بشخص آخر ويقولون ان الذى نقلها لهم بعض من اخصاء النادى ، ونضرا (٤) للحالة التى نحن فيها لم اقدر ان اتصدى للرد او البحث فى هذى (٥) الموضوع خوف (٦) من النتائج التى تترتب على طول الكلام وتشعبه ·

والذى ارى يا سيدى ان جنابك لا ينبغى ان تدخل مع هذى (٧) الشخص فى باب الجدل والقيل والقال والسؤال والجواب سيما اذا تحققت انه ورؤسائه (٨) اليوم اصحاب السلطة السلطان ·

---

(١) كذا فى النص والصواب : لا يسمحوا
(٢) كذا فى النص والصواب : ذلك
(٣) كذا فى النص والصواب : شيئا
(٤) كذا فى النص والصواب : ونظرا
(٥) كذا فى النص والصواب : هذا
(٦) كذا فى النص والصواب : خوفا
(٧) كذا فى النص والصواب : هذا
(٨) كذا فى النص والصواب : ورؤساؤه
(٩) كذا فى النص والصواب : شيئا

ومن مثل هذى (١) كنت اخشى على اصحابنا اهل النادى واعارضهم وانها هم عن التطرف فيما لا طائل منه · ولكن هدى الله بعضهم يحسبون الناصح لهم فاتر (٧) فى الوطنية عديم الاخلاص لها · فالآن يلزم ان تمحضهم النصح ولا تقل لا يهمنى ولا ناقة لى فيها ولا جمل واعلم انك غير سالم من الانتساب للنادى مهما حاولت الابتعاد ولا يغرب عن بالك ان هناك من اخوتك اثنان واخيك (٢) الشيخ محمد بن عبدالله الرئيس وهذى (٣) يكفى لان تكون المسئلة (٤) بينكم مشتركة خصوص (٥) اذا علمت بأنى مشروك معكم فى ذلك ولا تظن انى انجو مما قد يصاب به اولائك (٦)

فتناصحوا وامنعوا جراثيم الفساد والله الموفق والمعين والهادى الى السبيل القويم الامين ـ اسئل الله ان يحسن العواقب ويجعل الخاتمة خير ·

كتابك لعلي باقى انتضر (١) منه جوابك الاخير ·· طيه مكتوب لسيدى الشيخ محمد بن عبدالله ارجو تسليمه له وهذى (٢) واجبى · وسلام الله عليكم جميعا ·

المخلص
ناصر الخيرى

---

(١) كذا فى النص والصواب : هذا
(٢) كذا فى النص والصواب : واخوك
(٣) كذا فى النص والصواب : هذا
(٤) كذا فى النص والصواب : المسألة
(٥) كذا فى النص والصواب : خصوصا
(٦) كذا فى النص الصواب : اولئك
(٧) كذا فى النص والصواب : فاترا
(١) كذا فى النص والصواب : انتظر
(٢) كذا فى النص والصواب : هذا

حول النموذج

هذا هو النموذج الثانى مما اخترناه من رسائل ناصر البينية الى بعض اصدقائه من اعضاء النادى الادبى · والحديث عن هذا النموذج ليس بجديد ، فقد تحدثنا عنه بايجاز فى كتابنا (الكتابات الاولى الحديثة لمثقفى البحرين) كنموذج ثالث من كتابات مثقفى البحرين اوائل القرن العشرين ، وخاصة فيما يتعلق بالرسائل البينية ذات الهموم الفكرية فى مجال الحياة الثقافية والادبية والاجتماعية والسياسية ·

لذلك فقد تنازعتنا رغبتان الاولى تحبذ اعادة نشر الحديث بحذافيره ليطلع عليه من لم يتمكن من الاطلاع عليه بين مضامين الكتابات الاولى الحديثة لمثقفى البحرين ··

اما الرغبة الاخرى فتحبذ عدم اعادة نشر ذلك الحديث ، والاكتفاء باحالة القارىء الى المصدر الاول الذى نشر به ·

الا انه من باب ان ليس كل قارىء دارس ، وان كل دراس قارىء وان فى الاعادة افادة ·· رجحت كفة الرغبة الاولى ، فأصبح من الاجدى اعادة نشر الحديث الخاص بهذا النموذج كدراسة متواضعة عنه ·

فى هذا النموذج الذى هو رسالة كان قد بعث بها اليه الشيخ الاديب محمد بن ابراهيم الخليفة يشرح فيها ما تعرض له من مضايقات من الآخرين اثر تصنيفهم ــ الذى يعتز به ــ كأحد افراد الشباب فى الحركة الوطنية آنذاك ·

يقول الشيخ محمد بن ابراهيم حين سألناه عن مضمون تلك الرسالة التى بعث بها الى ناصر ٠٠ انه لا زال يتذكر مضمونها الذى يدور حول لقائه بعلي بن حسين كبير موظفى بلدية المنامة ، حيث جرى الحديث بينهما عن احداث ١٩٢٣ فى البحرين وتشعب حتى وصل الى ذكر النادى الادبى بالمحرق وهو عضو فيه وكيف اشيع عن بعض اعضائه انهم كونوا جمعية وطنية سرية ، وما الى ذلك ٠٠ الامر الذى حدا به الى كتابة رسالته تلك الى ناصر ، وارفق بها رسالة اخرى الى علي بن حسين يدفع فيها عن اعضاء النادى الادبى تهمة ما اشيع عنه ٠

ولما سألناه ايضا لماذا خصصت ناصر بتلك الرسالة ؟ **اجاب بأن ناصر كان من اخلص اصدقائى وكان يعمل ببلدية المنامة ، وفى مركز حساس بها ٠ وقد كانت بلدية المنامة آنذاك تقوم بتصريف امور كثيرة من شئون ادارات حكومة البحرين ، وكان يشرف عليها العسكرى الميجر ديلي ، اما ناصر فقد كان يقوم بعمله فيها بصفة موظف كبير بها ، ولديه خبرة كبيرة بالشئون السياسية وقد انتهزت وجوده فى البلدية ، وكتبت رسالتى تلك اليه كصديق كثيرا ما كان يمحضنى النصح فى مثل ما تعرضت له من علي بن حسين ، لقد كان ناصر موضع ثقتى وثقة الآخرين ، وكان جديرا بكل ذلك حتى توفاه الله ٠**

نعود الى رسالة ناصر الجوابية التى هى موضوع هذا التحقيق لنرى صاحبها يقدم المشورة المفيدة لصديقه الشيخ محمد فيقول له :

(ويؤسفنى انك علقت على هذه المسألة اهمية كبيرة حتى تنازلت لسؤال علي عنها ، والدخول معه فى باب السؤال والجواب على خلاف عادتك ٠ الى آخر ما جاء فى الفقرة الاولى من الرسالة)

وبتأملنا فى هذه الفقرة نجدها تعطينا فكرة عن مناخ الحكم العرفى الذى اقامه الميجر ديلي فى البلاد اثر عزل حاكمها عام ١٩٢٣ ، وما جره من ذيول (١) فهذا الحادث وقع فى مايو من ذلك العام ، وهذه الرسالة كتبت اواخر يونيو من العام نفسه ٠

اما ما يريد ناصر ان يقوله لصديقه الشيخ محمد فهو انه قد استغرب كيف ان صديقه ــ على خلاف عادته من الرزانه والوقار ــ قد دخل مع علي بن حسين فى سؤال وجواب ، واخذ وعطاء فى الكلام عن جمعية وطنية سرية وهمية اشيع عنه انه شكلها هو واعضاء فى النادى الادبى فى المحرق ، وهو منها براء ٠ لذلك فان ناصر كان يخشى على

صديقه من ان ينساق فى الحديث والنقاش مع بعض مخالفيه فى الرأى ، فيما لا طائل تحته · بل قد يكون ذلك نوع من الشباك والفخاخ التى ينصبها اعوان سلطة الحماية للايقاع بالنادى الادبى واعضائه ، الذين هم اما اعضاء فى الحركة الوطنية ، او مؤيدون لها ·

لهذا نرى ناصر ينحو برأيه الحصيف لصديقه محمد فيقول له :

(وارى عدم الخوض فى هذه المسألة مع المذكور الآن اذ انها ليس من الحكمة والصالح فى شيء بل ربما ادى الخوض فيها الى عكس المقصود منها نظرا لاضطراب الافكار فى هذه الايام الى آخره ··)

اما اضطراب الافكار فى تلك الايام فحدث عنه ولا حرج ·· غير ان الحديث عن ذلك يقتضى افراد عشرات الصفحات فى هذا التحقيق الامر الذى لسنا معنيين به هنا الآن ويكفي ان نذكر هنا كما حدثنا به كثير من اعضاء النادى الادبى المعمرين ابان الخمسينات من هذا القرن واجمعوا عليه من انه وصل الحال بالتضييق على النادى واعضائه من قبل ديلي وزبانيته ·· انهم لم يكتفوا بالتصنت عليهم ، بل زرعوا بعض مخبريهم فيه باحكام ، فاندسوا بين اعضائه حتى بلغ الضيق بهؤلاء الاعضاء ان اتهم بعضهم بعضا بعدم الاخلاص للحركة الوطنية فكالوا لبعضهم البعض التهم ·· فوصم بها اعضاء كرماء ، هم براء منها ·

لقد كان من الاعيب اولئك المخبرين ما يحدثنا عنه ناصر مخاطبا صديقه الشيخ محمد فيقول :

(ثم لا ينبغى ان تستبعد ان ذلك من الاشباك (١) التى تلقى للايقاع بالنادى واهله ، ومن ينسب اليه اذ يدخلون معهم فى باب المجادلات والمماحكات (وقلتم ولم نقل) حتى يصلون (٢) معهم الى الغاية التى يتوخونها ··)

---

(١) كذا فى النص والصواب : الشباك

(٢) كذا فى النص والصواب : يصلوا

ثم يستطرد فى ذلك فيقول فى الفقرة الثانية من رسالته هذه :

ثم يستطرد فى ذلك فيقول فى الفقرة الثانية من رسالته هذه :

(ولا تستعظم فى هذا الزمان اذ كل شيء جائز والحكمة تقتضى على اهل النادى ان يسمحون (١) باجراء ما يسبب القال والقيل ، ولو جاء شيء من باب المزاح ، وهذا من واجب الرئيس ان لا يتساهل فى شيء من ذلك ٠٠)

انه لشيء ممتع حقا ان يذكر لنا ناصر فى هذه الفقرة من رسالته ٠٠ بعض ما نكره لنا معمرون ابان الخمسينات من هذا القرن ، عن حيثيات النادى الادبى مع الحكم العرفى الانكليزى بادارة الميجر ديلي ، وخاصة خلال عام ١٩٢٣ ٠

ان ناصر لا يدخر وسعا فى الكتابة الى صديقه محمد بكل ما شاهده عن كثب وما عاناه كعضو عامل بالنادى ، حيث تنشر الاشاعات وتنصب الشباك لاعضاء النادى للايقاع بهم فى لهوات التشتت والتفرقة (٢) ٠

اما عن اشاعة تكوين جمعية سرية بالنادى ، فهو من جملة الاشاعات التى كانت تطرح للتداول من قبل زبانية ديلى فى المحرق والمنامة صباح مساء ، واما عن الاشاعة نفسها فيقول ناصر لصديقه ما يلى :

(وقد سمعت أنا شيء من هذه الاشاعة التي أشرت اليها ، ولكن على وجه عام ، لم تخصص بشخص دون آخر ، ويقولون أن الذى نقلها لهم بعض أعضاء النادى ، ونظرا للحالة التي نحن فيها لم أقدر أن أتصدى للرد ، أو البحث في هذا الموضوع خوفا من النتائج التي تترتب على طول الكلام وتشعبه ٠٠) ٠

---

(١) كذا فى النص والصواب : يسمحوا

(٢) مثلما حدث من انفصال بعض مؤسسى النادى عن اخوانهم اثر بعض المشاحنات والمشادات الكلامية مما دعاهم لتكوين ناد آخر بالمحرق اسموه (نادى الاخاء) وأناطوا رئاسته بالمرحوم احمد بن يوسف فخروه ٠

(٣) كذا فى النص والصواب : شيئا

اذن فالاشاعة عامة كعادة بعض الاشاعات ٠٠ ولكن قوتها وفضاعتها تكمن في القول أن الذى وشى بها لأعوان ديلي هم بعض من أعضاء النادى ٠ ولقد كان تخوف ناصر وحذره في محله اذ أن شيئا مما كان معدودا من الاشاعات كان قد بدأ يتحقق ، فقد كانت فكرة ترك مدينة المحرق كعاصمة للبلاد آنذاك ، واختيار المنامة بدلا منها مجرد اشاعة ، ثم اصبحت حقيقة ٠٠ وما أعقب ذلك من محاولة اهمالها ونسيانها من قبل سلطة الحماية ٠

ثم يؤكد ناصر بعد ذلك حالة الاضطراب في البلاد اثر حادث مايو ١٩٢٣ بقوله : (نظرا للحالة التى نحن فيها) تلك الحالة التى لا تمكنه ، وهو يعمل آنذاك موظفا كبيرا في البلدية وفي وسط أفراده منفذون في ادارة الميجر ديلي أن يتصدى للرد على تلك الاشاعة ، وقد انتشرت بين أولئك المتنفذين وما ذاك الا لتخوفه من المواجهة ــ وهو ما لم يعرف عنه أبدا قط ، كما ذكر لنا كثير من خلصائه ــ بل لحرصه على وأد الاشاعة بعدم الحديث عنها لكي لا تطيش فتصيب برذاذها زملاءه من أعضاء النادى ٠ بعد ذلك يعود ناصر ليذكر صديقه محمد بعدم الدخول مع السيد علي بن حسين في الجدل الذى لا طائل تحته فيقول :

(والذى أرى يا سيدى أن جنابك لا ينبغي أن يدخل مع هذا الشخص في باب الجدل والقيل والقال والسؤال والجواب سيما اذا تحققت أنه ورؤسائه اليوم أصحاب السلطة والسلطان ٠٠) الى قوله : (وهذا واجب الرئيس انه لا يتساهل في شيء من ذلك ٠٠)

في كل هذه الفقرة السالفة تحدث ناصر الى صديقه محمد بكل وضوح ، وبلا مواربه ، واختتم حديثه فيها بتحذيره من علي ، وأبان له عن سبب ذلك التحذير ٠ وان تحذيرا كهذا تكمن قوته وصدقه كونه صادرا من رجل متنفذ في بلدية المنامة يعرف من دقائقها ، وخاصة في مجالها السياسي ما لا يعرفه كثير من أصحاب الحركة الوطنية آنذاك ، فاذا علمنا أنه كان يناط بناصر مهمة القيام بأعمال لها طابع سياسي خلال عمله في البلدية مثل ترجمة بعض المراسيم التي كانت تصدرها ادارة الميجر ديلي لاعلانها على الناس في البحرين ٠٠ وانه كان يكلف بالقاء بعضها على أهل البحرين باللغة العربية ، كما حدث ذلك حين كلف بتلاوة مرسوم تنازل الشيخ الجليل عيسى بن علي عن حكم البحرين لولي عهده ٠٠

اذا علمنا ذلك أدركنا كم كان لتحذيرات ناصر لصديقه محمد ، ولكل أصحاب الحركة الوطنية في البلاد من قوة وصدق ·

لقد ذهب ناصر في حرصه على سلامة النادى الأدبي ، والمحافظة عليه مذهبا كبيرا ، فقد أهمه وأقلق راحته جنوح فئة من شباب النادى الى التطرف في تصرفاتها كفئة عاملة ناشطة في صفوف الحركة الوطنية مما يجعلها عرضة للوقوع في فخاخ وشباك سلطة ديلي في البلاد · كان على رأس هؤلاء الشباب كل من عبدالله الزائد ، وخالد الفرج ، وأحمد الشيراوى ، وسعد الشملان ، وابراهيم عبدالله كمال ·

وكما قلنا سابقا من أن ناصر وهو عليم ببواطن أمور السياسة البريطانية المحلية في البحرين ، كان لا يفتأ يقدم النصيحة تلو النصيحة لزملائه من أعضاء النادى وخاصة أولئك المتطرفين منهم على حد قوله في رسالته هذه ·

لقد كانت ليالي الجمعة هي الليالي المشهودة في لقاءات أعضاء النادى بعضهم ببعض كل اسبوع ، حيث يلتقي أعضاء من أهل الحد والمنامة والمحرق مساء الخميس ليحيوا ليلة الجمعة بالنادى ، وبعدها يستضيف المحرقيون اخوانهم الحديين والمناميين في بيوتهم حتى صباح الجمعة ·

في هذه اللقاءآت ·· كان ناصر على رأس قلة من المعتدلين من أعضاء النادى يعارض بعض تصرفات من يسميهم بالمتطرفين ، لاسيما في ممارستهم كتابة المنشورات بايديهم ضد سلطة الحماية ، او تشجيعهم لها باستفزاز طلاب في مدرستي الهداية في المحرق والمنامة لكتابة تلك المنشورات بأيديهم وقيام أولئك الطلبة بتوزيع تلك المنشورات ليلا ، بل وصل الحال أن تلصق تلك المنشورات على أبواب من كان يعتقدهم أولئك المتطرفون أنهم من المتعاونين مع ديلي ·· فلصقت بعض تلك المنشورات علي بابي القاضيين خلف العصفور وشرف بن أحمد ، وباب علي بن حسين ، وآخرين ·

كان ناصر يقترح أن تكتب تلك المشنورات بالآلة الكاتبة ، وأن لا يزج الطلبة في أمر كتابتها بأيديهم أو توزيعها ·

أما من يسميهم ناصر بالمتطرفين فكانوا يقولون أنهم لا يملكون آلة كاتبة ، وان ديلي قد منع دخولها الى البحرين الا باجازة منه ·· وان الطلبة أكثرهم متعاونون مع الحركة الوطنية ، وان أكثرهم قد قاربوا سن العشرين ، وهم مستعدون لتحمل نتيجة

أعمالهم ، والعملية مشروعة كجزء من معارضة الحركة الوطنية لأعمال سلطة الحماية في البحرين ٠

كذلك فان ناصر كان ينهي من يسميهم بالمتطرفين عن كتابة الاحتجاجات والعرائض الى حاكم البلاد المتنازل بأيدى الشباب المتحمس من أعضاء الحركة الوطنية وبأقلامهم في محاولة لفرض قيادتهم على الحركة الوطنية التى تتمتع بالخبرة والرؤية الصحيحة ، ولها وزنها الكبير بين فئات الشعب ، لقد كان ناصر يعني هنا تخصص عبدالله الزائد في كتابة تلك الاحتجاجات والعرائض التي منها ما يوقعه باسمه هو ٠ (١)

على كل هذا وغيره من آراء ناصر ٠٠ يرد الآخرون ، ان ناصر ومن يرى رأيه فاتروا الوطنية وعديموا الاخلاص لها ٠٠

يقول ناصر عن ذلك ما يلي : (ومن مثل هذا كنت أخشى على أصحابنا أهل النادى ، وأعارضهم وأنهاهم عن التصرف فيما لا طائل منه ، لكن هدى الله بعضهم يحسبون الناصح لهم فاتر الوطنية عديم الاخلاص لها ٠٠) ٠

بعد هذا يتوجه ناصر الى صديقه الشيخ محمد راجيا منه ضم صوته اليه فى ازجاء النصح لأولئك الشباب المتحمس وتحذيرهم قائلا :

(فالآن يلزم ان تمحضهم النصح ، ولا تقل لا يهمنى ولا ناقة لي فيها ولا جمل ، واعلم انك غير سالم من الانتساب للنادى مهما حاولت الابتعاد عنه ، ولا يغرب عن بالك أن هناك من اخوتك اثنان ، واخيك (٢) الشيخ محمد بن عبدالله الرئيس ، وهذا يكفي ٠٠ لأن تكون المسألة بينكم مشتركة ٠

اذن فقد أوضح لنا ناصر في هذه الفقرة أنه يصنف صديقه الشيخ محمد بين جملة أولئك الشباب المتحمس ، غير أن له تأثيراً عليهم ، فعليه أن يزجي لهم النصيحة ٠٠ التي قد يقبلونها منه أكثر مما يقبلونها من ناصر نفسه ، وهو اذ يحث صديقه محمد على ذلك يذكره بأن هناك اثنان من اخوانه من بين أعضاء النادى من الشباب المتحمس ٠ وكذلك وان بينهم الشيخ الشاب محمد بن عبدالله رئيس النادى ، وحفيد الحاكم المتنازل

---

(١) رسالة الزائد المطولة الى الحاكم المتنازل ٠

(٢) كذا في النص والصواب : أخوك

وهذا يكفي ٠٠ كما يقول ناصر ، وهو اذ يقول ذلك يعني أشياء كثيرة أهمها ان سلطة الحماية كانت قد أخذت حذرها من الحركة الوطنية ومؤسساتها مثل النادى الأدبي ، والادارة الخيرية للتعليم الحديث ، لكون تلك الموسستين تضم خلاصة المعارضين لتصرفاتها ٠

أما النادى الأدبي فانه بيت القصيد في هذا الحديث فمن الطبيعي أن يكون رئيسه من عينة أعضائه الذين هم لم يكونوا في يوم من الأيام منذ عام ١٩١١ من المهادنين للاستعمار ، وان رئيسه أيضا لم يكن ليصل الى رئاسته الا بميزات رضى بها الأعضاء ، غير أن أهم ميزات الشيخ محمد بن عبدالله الخليفة كانت تكمن في كونه مؤيدا قويا للحركة الوطنية ، وهذا يكفي آنذاك لأن يكون رئيسا للنادى الذى بقى صامدا حتى بعد زوال قبضة الميجر ديلي عن البلاد عام ١٩٢٦م ٠

نأتي الآن الى الفقرة الرابعة والأخيرة في رسالة ناصر هذه فنرى فيها رأى ناصر المتزن في العمل الوطني ، كما أسلفنا ٠ لذلك يذكر ناصر في هذه الفقرة أن صديقه الشيخ محمد كان قد بعث اليه برفقة رسالته هذه التي يرد عليها ، برسالة أخرى موجهة الى السيد علي بن حسين يرد فيها على اتهامات علي للنادي الأدبي بالعمل السرى ٠٠ وطلب من ناصر أن لا يبعثها الى علي الا بعد الاطلاع عليها ويرى رأيه فيها فان شاء بعث بها الى علي ، أو أبقاها عنهد ٠ وقد عمل ناصر بطلب صديقه فاطلع على الرسالة فخرج بنتيجة أنه من الأحسن أن يبقي الرسالة لديه ولا يرسلها الي علي ٠

أما الشيخ محمد فيقول في ذلك أنه ترك هذا الأمر لتقدير ناصر وحده ٠٠ أما ناصر فهو يقول في ختام رسالته لصديقه مايلي :

(كتابك لعلي باقي أنتضر[1] منه جوابك الأخير) ٠

وبذلك تنتهي هذه الرسالة المثيرة ٠

---

(١) كذا في النص والصواب : انتظر

أيامه الأخيرة

كانت وفاة ناصر بسبب مرض ألم بقلبه فقد ذكر لى صديقه الحميم احمد حسن ابراهيم ـ أمد الله فى عمره ـ أن ناصر بدأ يشعر بوجع فى القلب أواخر عام ١٩٢٤ · وكان أثناء ذلك يكتب الصفحات الأخيرة من كتابه تاريخ البحرين ·

وانني كنت أزوره فى بيته ليلا ومعى جملة من اصدقائه المحبين مثل علي بن خليفة الفاضل ، وخالد الفرج ، وكان يقرأ لنا من مسودة كتابه تاريخ البحرين ، ويراجعنا فى ذلك وبعضنا يشير عليه بأشياء يضعها وأشياء يلغها ·

فقد طرق سمعي لأول مرة اسم دلون كأحد الاسماء القديمة للبحرين · وذلك عندما ذكره لنا ناصر فى كتابه المذكور ·

ولما اشتد عليه المرض لم نقطع صلتنا به ، وكان يقرأ لنا وهو مستند على مسند ، وعلمي أن الدكتور ديم كبير أطباء المستشفى الامريكى آنذاك كان يعالجه ، وانه كان من أصدقائه هو وبعض الامريكان بالمستشفى · وان ناصر قد استفاد من معلومات بعضهم عن تاريخ البحرين القديم ·

وفى اوائل عام ١٩٢٥ علمت بنبأ وفاته فحضرت أنا واصدقائه لتشييع جنازته ودفنه بمقبرة المنامة ·

هذه افادة الاستاذ احمد عن اخريات أيام ناصر ، أما ابنته الوحيدة البالغة من العمر الآن حوالى ٦٥ عاما فقد ذكرت لي انها كانت صغيرة يوم توفى والدها ، ولا تذكر شيئا من ذلك سوى انها كانت فى بعض الأيام تحمل اليه فى مكتبه ببلدية المنامة حيث كان يعمل ، وانها لا تتذكر شيئا كثيرا عن أيامه الاخيرة سوى عن يوم وفاته ، فقد قالت لى بحضور صديقه الاستاذ محمد عبدالله جمعه ان والدها توفى أثناء ما كان الدكتور ديم فى طريقه اليه ، حيث انطلق أحد اقربائها لاستدعائه فوجده فى طريقه اليهم ، ولما أخبره بوفاة ناصر قال (ما فى فايدة) ورجع أدراجه الى المستشفى الامريكى ·

هذه شهادتان من حملة شهادات مشابهة عن أيام ناصر الأخيرة ، وهكذا طويت صفحة مفكر خليجى ·· لم يسعفنا زمانه ، ولا ظروف ذلك الزمان بالاستفادة منه كثيرا ·· وخاصة اذا تذكرنا أننا فقدنا حتى الان مسودة تاريخه الذى وضعه عن بلاده البحرين ·

وكلمة أخـــيرة :

هذا هو ناصر الخيرى فى علميته ·· وبغض النظر عن مواصفات هذه العلمية من قوة وضعف ، فانها تبقى متواضعة بالنسبة لعلمية أعلام آخرين أمثال قاسم بن مهزع ، وعبدالوهاب الزيانى ، وعبدالله الزائد ، وابراهيم بن محمد الخليفة ، من أولئك الذين عاشوا الزمان والمكان اللذين عاشهما ناصر ·

ولقرائي أقول : ان تقويم حياة ناصر وأعماله من خلال هذه الدراسة ، أو من خلال رسائله اذا ما أراد أحد أن يقوم بذلك فعليه أن يأخذ في اعتباره المكونات الفكرية لناصر الخيرى ، ومن هم في طبقته من مثقفى الخليج قبل ثلاثة أرباع القرن ، وكذلك بيئته العلمية والثقافية ، وكذلك أيضا قصر حياته ، وكونه عاش ومات ، ولم يعترف أحد بمحاولته الجادة للتطلع الى غد ثقافي ، واجتماعي أفضل لبلاده ·

ويبقى بعد ذلك اعترافى بالتقصير ، وعزائى فى ذلك أنى أبحر ضد المجهول في الاسهام بالكتابة عن تاريخ أعلام الخليج العربى ·

وبهذه المناسبة لا يفوتنى هنا أن أزجي شكرى واعتزازى وتقديرى لكل من تقدم لي بمعلومات قيمة عن ناصر ، وعن حياته ، وعلى رأسهم الاساتذة احمد حسن ابراهيم ، ومحمد عبدالله جمعة ابراهيم ، وحمد علي خليفة الفاضل ، الذى قدم صورة ناصر الخيرى مرفقه بصورة والده الجليل ، وكذلك الشيخ الشاعر خالد بن محمد الخليفة الذى قدم لي معلومات قيمة عن والده صديق ناصر ورئيس النادى الأدبى بالمحرق ·

أما مسك الختام فلا أظن أحد أجدر به فى هذا المقام من وزارة الاعلام ، وعلى رأسها الوزير الأستاذ طارق المؤيد ، الذى أعطى دفعة قوية لاخراج هذا الكتاب ·· فاليه والى كل من هيأ لي اسباب انجاز هذا العمل وخاصة ادارة المطبوعات ـ أزجى شكرى وتقديرى ·

والى عمل أفضل فى خدمة هذه البلاد · والله من وراء القصد ، وفوق كل ذى علم عليم ··

بسم الله

سيدي الاجل الاكرم الشيخ محمد بن سيدنا المكرم الشيخ ابراهيم بن محمد الضليمي المحترم دام موفقاً محترماً

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ثم يا سيدي وصلني كتابك وعاودت به مرة بعد مرة وفهمت ويؤسفني انك قد علقت على هذه المسئلة اهمية كبيرة حتى تنازلت لسؤال (علي) عنها والدخول معي في باب السؤال والجواب على خلاف عادتك وليت شعري ما الذي يهمك من ما قد ينسب اليك كذب وافتراء طالما انت براء منه . ورأيي عدم الخوض في هذه المسئلة مع المذكور الآن اذ انها ليس من الحكمة والصالح في شيء - بل ربما اكد الخوض فيها الى عكس المقصود منها نظراً لاضطراب الافكار في هذه الايام ثم لاينبغي ان نستبعد ان يكون ذلك من نوع الاشباك التي تلقى للايقاع بالناديين واهله وما ينسب اليه اذ يدخلون معهم في باب المجادلات والمماحكات (وقلتم ولم نقل) حتى يصلوا معهم الى النتيجة التي يتوخونها . . . .

ولا تستعظم شيئاً في هذه الزمان اذ كل شيء جائز . والحكمة تقضي على اهل النادي ان لايساهمون باجراء ما يسبب القال والقيل ولو جاء شيء من باب المزاح ولهذا وجب الرئيس ان لايتدخل في شيء من ذلك .

وقد سمعت انا شيء من هذه الاشاعة التي اشرت اليها ولكن على وجه عام لم تخصص بشخص دون آخر ويقولون ان الذي نقلها لهم بعض من اخصاء النادي ؛ ونظراً للحالة التي نحن فيها لم افد ان اتصدى للرد او البحث في هذا الموضوع خوف من النتائج التي تترتب على طول الكلام ونشعبه . والذي ارى يا سيدي ان جنابك لا ينبغي ان تدخل مع هذا الشخص في باب الجدل والقيل والقال والسؤال والجواب سيما اذا تحققت انه وأمثاله اصحاب السلطة والسلطان .

ومن مثل هذا كنت اخشى على اصحابنا اهل النادي واعارضهم وانهاهم عن التطرق فيما لا طائل منه . ولكن هدى الله بعضهم يحبون الناصح لهم فاترفق في الوطنيه عليهم الاخلاص لها . فالآن يلزم ان نمحضهم النصح ولا نقل لا يهمني ولا ناقة لي فيها ولا جمل واعلم انك غير سالم من الانتساب للنادي مهما حاولت الابتعاد عنه ولا يعزب عنك بالك ان هناك من اخوتك اثنان واخيك الشيخ محمد عبده الرئيس وهذا يكفي لان تكون المسئلة بينكم مشتركة خصوصاً اذا علمت بان شريكك مصر في ذلك ولا اظن انجو مما قد يصاب به اولائك - فنسأل الله ان يصلح ما افسد انه الموفق والمعين وهو اكرم الاكرمين والسيد القوي الامين - اسئل الله ان يحسن العواقب ويجعل الى تمام خير - كتبك لعلي بالي انتظر فيه جوابك الاخير وطيه مكتوب لسيدي الشيخ محمد عبده ارجو تسليمه له وهذا واجبي

المعلم
ناصر

نموذج (١) بخط ناصر

بسم الله

لحضة مكتب المقام وسليل الكرام سيدي الشيخ محمد بن سيدي الشيخ ابراهيم بن محمد الظاهر المحترم

حياه الله وابقاه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام وبعد فقد اخذت بيد الاهتمام كتابكم رقم امس واشكركم على ما ابديتم فيه من اللطف وحسن الظن واسف لأن ساعة وصوله بالمكتب كنت غائب في الكوت حيث دعيت بأمر المعتمد صباح امس خصيصاً لتلاوة ترجمة خطاب فخامة رئيس الخليج - وقد حضرنا الحفلة ووعينا ما كان بها من الاقوال والأفعال ولا نقصل ازاءها الا فيما لقد تغيرت الحالة من امس وصار الحاكم حضرة الشيخ حمد هذى هو الحال الظاهر والباطن نكل امره الى علام الغيوب ولا بد ان جنابك تحب الاطلاع على محصل خطاب المولى اليه فرها هو ارسله لك بطيه وعسى به عبرة وذكرى لقوم يعقلون .

ارسل لك ايضاً المكتوب الذي ارسلته باسمكم (علي) والمكتوب الذي قد ارسلته بواسطتك الى الشيخ محمد اظن قد فات وقت الاستفادة منه فاذا لم تكن سلمته له فلا تسلمه الآن لانه بعد فائده ولك الاختيار في ارجاعه لي ان أمكن وابادته او اطلاعه عليه وذلك موكول لك

هذى مالزم بيانه واطال الله بقاك سلام ١١ شوال ١٣٢١ هـ

المخلص

نموذج (٢) بخط ناصر

أهم المصادر

١ ـ أوراق خاصة بناصر الخيرى

٢ ـ مجلة المقتطف ـ اصدار ١٩١٠ ـ ١٩١٢

٣ ـ مجلة المنار ـ اصدار ١٩١١ ـ ١٩١٣

٤ ـ افادات من أفواه زملاء ناصر الخيرى

٥ ـ القاضي الرئيسى قاسم بن مهزع مطبعة دولة الكويت ١٩٧٥

٦ ـ الكتابات الأولى الحديثة لمثقفى البحرين اصدار القاهرة ١٩٧٨

٧ ـ بعض أوراق خاصة بالشاعر عبدالله الزائد ١٩٢٣

الفهرست

تقدمه ٣
عصر ناصر الخيري ٦
من أقوال ناصر ٩
من ردود تلقاها ناصر ١١

الفصل الأول ١٣
من هو ناصر الخيرى ١٧
ناصرين مدرسين ٢١
فى مكتبة المبشرين ٢٣

الفصل الثانى ٢٥
المقتطف ٢٩
المقتطف وناصر الخيرى أسئلة وأجوبة ٣٢
الرسالة الأولى ٣٣
جواب المقتطف ٣٤
الرسالة الثانية ٣٤
أجوبة المقتطف ٣٥

الفصل الثالث ٣٧
مدخل ٤٣
المنار وناصر الخيرى ٤٤
الخلاصة ٤٧

الرسائل الثلاث ٤٩
الرسالة الاولى ٥١
الرسالة الثانية ٥٥
المذاهب واختلافها ٥٦
الخطبة بالالحان والسنة فيها ٥٩
ترتيل القرآن ٦١
الرسالة الثالثة ٦٣
نص الرسالة ٦٤
حكمة تقبيل الحجر الاسود ٦٨
المردود السيء للرسالة ٨٥

الفصل الرابع ٨٩
ناصر في رسائله الخاصة ٩١
تقدمه ٩٥
نموذج (١) ٩٩
تعريف بالنموذج ١٠١
حول النموذج ١٠٢
وشيء آخر ١٠٤
نموذج (٢) ١٠٦
حول النموذج ١٠٩
ايامه الاخيره ١١٧
كلمة اخيرة ١١٨
رسالة بخط ناصر (١) ١١٩
رسالة بخط ناصر(٢) ١٢٠
اهم المصادر ١٢١

طبع بالمطبعة الحكومية لوزارة الإعلام دولة البحرين

المؤلف

- من مواليد عام ١٩٣٥
- يحمل دبلوم تجارة
- يعمل حالياً بوزارة الاعلام

له من المؤلفات الآتى :

١ ـ نابغة البحرين (عبدالله الزائد) طبع بيروت ١٩٧٢
٢ ـ القاضي الرئيس قاسم بن مهزع طبع الكويت ١٩٧٥
٣ ـ الكتابات الأولى الحديثة طبع القاهرة ١٩٧٨
٤ ـ المنتدى الاسلامى طبع البحرين ١٩٨١
٥ ـ ناصر الخيرى الأديب الكاتب طبع البحرين ١٩٨٢

المخطوطات :

١ ـ شيء من الاصغاء ياسادة (ديوان شعر)
٢ ـ ابن مانع بين الخليج والجزيرة العربية

الدراسات

١ ـ شذرات من حياة الزائد الأدبية مجلة الخميله ١٩٥٢
٢ ـ مقالات فى الأدب القطري مجلة العروبة ١٩٧٢
٣ ـ مقدمة فى التطور الفكري فى البحرين ١٩٧٩
٤ ـ طباعة البحرين من ١٩١٣ ـ ١٩٤٨
٥ ـ التبشير فى البحرين والخليج ١٩٧٣
٦ ـ مقدمة فى تحديد مفهوم اصطلاحي للتراث الشعبى فى الخليج ١٩٨٢